

١٦ يونيه سنة ١٩٦٧

المكتبة الثقافية

(جامعة صفا)

١٧٧

# الرسول في القرآن

محمود بن الشريف



الثمن ٣ قروش

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر



المكتبة الثقافية

(جامعة صة)

١٧٧

# الرسول في القرآن

أحمد بن محمد

تأليف

محمود بن الشريف

بإشراف

الدكتور شكري محمد عتياد

وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

« قرآن كريم »

انما انا رحمة مهداة

( حديث شريف )

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

في الصفحات التالية حديث الله عن رسول الله ..  
وحديث القرآن الى من نزل عليه القرآن .

والقرآن الكريم كله حديث لمحمد .. وعن محمد ..  
وعن صقله وتربيته ، وتوجيهه واعداده ، ودعوته ،  
ورسالته ، وما نزل عليه ، وما دعا الناس اليه .

من أجل ذلك كان الحديث عن الرسول في القرآن  
انما هو حديث عن القرآن كله .. وعن كل ما يحفل به  
وما تعرض له . ثم هو بالتالي حديث عن الاسلام وعقيدته  
وشريعته ومفاهيمه .

فلا غرو أن كان الحديث حافلا فياضا تقصر الطاقة  
عن جمعه والاحاطة به اذ هو متعدد متشعب يحتاج الى  
طاقات مجتمعة .. طاقات عالمة عارفة متخصصة متعمقة ،  
لتجלו مناحي الحديث وزواياه ، وتكشف ، في صدق وحق  
وعمق ، عن أقطاره ونواحيه .

لذا كان فوق الطاقة أن يتناول متناول حديث القرآن  
عن محمد بشمول وافاضة واحاطة .

فلا جرم أن كان قصارانا في الصفحات القادمة أن  
نثبت فيها ومضات مشرقة من هذا الحديث الالهي ،  
ونسجل انطباعات وشرائع وقطاعات ، لا نقول انها كل  
ما في القرآن من حديث عن رسول الله . . ولا نقول انها  
جامعة مانعة ، بل هي ومضات نيرة من حديث القرآن على  
من نزل عليه القرآن ، ونفحات الهية مشرقة من كلام الله  
الى من صقله الله ورباه ، واجتباها واصطفاه وبعثه للعالمين  
رحمة مهداة .

والله الموفق وهو المعين .

**محمود بن الشريف**

## وانك لعلی خلق عظیم (۱)

كان محمد ، صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى المجسم  
لتعاليم الدعوة ومفاهيم القرآن وأقضية الدين ، كان  
أخلاقا ٠٠ وسلوكا ٠٠ ومنهجاً ، ليقترن به في الاخلاق  
والسلوك والمنهج « لقد كان لكم في رسول الله أسوة  
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » (٢)

كان التطبيق العملي للدعوة كان السلوك الالهي الذي  
لا يميل ولا يحيد « كان صلوات الله وسلامه عليه في جميع  
أحواله : حركة وسكوناً ، إشارة ونطقاً ، قلباً وقالباً يمثل  
القرآن الكريم ، وقد كان صلوات الله عليه تطبيقاً للقرآن ،  
لقد لبس القرآن ظاهراً وباطناً ، لقد « تقرأن » اذا أمكن  
هذا التعبير ، أو بتعبير آخر :

لقد كان قرآناً ، ولقد وصفته السيدة عائشة ، رضى  
الله عنها ، وصفاً دقيقاً حينما سئلت عن خلقه ، فقالت  
« كان خلقه القرآن » ومن كان خلقه القرآن كان أسوة ،  
وكان قدوة ، وكان على خلق عظيم ، ومن هنا وصفه الله  
سبحانه بقوله « وانك لعلی خلق عظیم » (٣)

---

(١) آية ٣١ من سورة الاحزاب (٢) آية ٤ من سورة القلم  
(٣) ص ٥ من مقالة كتاب « الرسول لمحات من حياته ونفحات من هديه  
للدكتور عبد الحلیم محمود

## اقْرَأْ

وساطة بين الله ورسله ، قد تكون عن طريق ملك ، أو الهام ، أو رؤيا منامية ، أو كلام من وراء حجاب . وذلك هو وحي الله الى أنبيائه ورسله « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » (١) .

وكان أول الوحي ومشرق النور على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو قول الله : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل ، في غار حراء ، وأنا نائم بنمط من ديباج ( حرير ) فيه كتاب ، فقال : اقرأ .. قلت : ما اقرأ !! قال : فغثنى ( ضغطني وعصرني ) حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ( تركني ) فقال : اقرأ .. قلت : ما اقرأ !! فغثنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال : اقرأ .. قلت : ما اقرأ ، فغثنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ .. ماذا اقرأ ؟ ما أقول ذلك الا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي

(١) آية ٢ من سورة النحل



علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . . . فقرأتها ، ثم  
انتهى ، فانصرف عني ، وهيببت من نومي فكأنما كتبت  
في قلبي كتابا . . . فخرجت حتى اذا كنت في وسط الجبل ،  
سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله ،  
وأنا جبريل ، فرفعت رأسي الى السماء أنظر ، فاذا جبريل  
في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ،  
أنت رسول الله وأنا جبريل . . . فوقفت أنظر اليه فما  
أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي في آفاق السماء  
فلا أنظر في ناحية الا رأيت كذا ، فمازلت واقفا ما  
أتقدم أمامي وما أرجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلها  
في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا اليها ، وأنا واقف  
في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني ، وانصرف راجعا الى  
أهلي . »

« نزل الوحي كجذوة وهاجة بددت من نفس محمد  
كل شك ، وأشعلت فيها تلك الآمال اللاشعورية ، وتلك  
القوى الكامنة التي كدسها في نفس خمس عشرة سنة  
تقضت في التأمل والتحنث ، لقد فتح الوحي عينيه على  
آفاق شاسعة ، وأظهره على ما يجب أن يقوم به نحو تلك  
الرسالة من جهود جبارة خطرة » (١) .

وكانت « اقرأ » تلك الكلمة الربانية بما تحمل من  
هدى ونور ومعرفة ومضمون كانت جماع الدعوة الاسلامية

(١) من ص ١٤٠ من كتاب محمد رسول الله .

ومفتاح العقيدة الموصلة الى النور « الله نور السموات والأرض » والى الحق « والله هو الحق المبين » .

« على أن : » اقرأ باسم ربك الذي خلق » حينما تقيد العلم والثقافة بأن يكونا : باسم الله وحينما تصبغ دراسة الكون بصبغة التوجه الى الله ، فانما تضعنا مباشرة أمام توجيهه أنهى سافر ، لا ليس فيه ، يرشدنا الى وجوب اعطاء جميع الاعمال التي نقوم بها صورة العبادة : ذلك أن ما كان باسم الله ، فهو عبادة .

وان « اقرأ باسم ربك » تنص على أن القراءة لا تكون باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة اقليمية ، ولا باسم غاية مادية أيا كانت ، ولا باسم وطن أو بيئة ، وانما هي : باسم الله ، واذا كانت باسم الله فانها تقيد باعتباره فردا ، وتقيد المجتمع الذي نسميه : وطننا ، وتقيد المجتمع الاسلامي ، بل وتقيد الانسانية جمعاء . . . واذا ما تجردت القراءة لله تعالى ، وكان هدفها الأول والأخير هو « الله » مصدر الخير والنور كانت : خيرا ، وكانت نورا في جميع الأرجاء ، وفي جميع الأزمان .

وما كان القرآن الكريم يقصد قط بهذه الكلمة الأولى ، القراءة وحسب ، وانما كانت رمزا لكل ما يأتيه الانسان في الجانب الايجابي ، وكل ما يدعه الانسان في الجانب السلبي .

ان هذه الكلمة الأولى ، تريد أن تقول : اقرأ باسم ربك . . . تحرك باسم ربك . . . تكلم باسم ربك . . . اعمل

باسم ربك .. أما اذا امتنعت عن حركة أو فعل ، فينبغي أن يكون ذلك أيضا باسم ربك ، ويكون معنى الآية في النهاية : جرد حياتك كلها وكيانك كله : أسبابا وغايات لله سبحانه وتعالى (١) .

ثم توالى الاعداد الالهى للرسول بعد البعثة ..

وقد كان هناك اعداد الهى لمحمد ، وهو جنين فى بطن أمه حيث نسل من أشرف أبوين ومن أظهر سلالة . كذلك كان هناك اعداد الهى لمحمد ، وهو فى طفولته ويفوغته ، وهو فى شبابه ورجولته ، وقبل الرسالة وبعد الرسالة .. لم تفتر العناية الالهية عن ملاحظة الرسول وتعهده ورعايته فى جميع مراحل حياته ، فكانت «الرعاية» وكانت «الرسالة» وكانت «العصمة» وكان «الوحي» . وقد سجل القرآن ظاهرة لازمت الرسول حينما عند نزول الوحي دلت على أمانة محمد وتحريه الصديق ودقته فى التبليغ وحرصه على سلامة التعاليم ، فمحمد عليه السلام عندما كان ينزل عليه وحى ربه كان يقرأ .. ويقرأ ويعيد ويكرر ما أنزل عليه ويجهد لسانه وعقله وحافظته وذاكرته وردد ما أوحى اليه بقلبه وكيانه كله حتى لا ينساه ، وكانت الحشبة تدفعه أحسانا الى أن يردد الآيات قبل أن يتكامل نزولها عليه فى شفقة وفى حرص ،

---

(١) ص ٨ من مقدمة كتاب الرسالة القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف

لذا كان هذا التنبيه الالهي للنبي في صورة النهي عن الاستعجال في تلاوة ما أوحى الله به اليه « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه » (١) « لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرآنه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » (٢) •

وفي هذا التنبيه الالهي ما فيه من شدة حرص محمد على الوحي وأمانته في أن يقدم لامته تعاليم ربه كما بلغت اليه في صورتها الأصلية ، الأصلية الحقة الدقيقة الكاملة المتكاملة •

وفيه تطمين الهي بأن يشفق على نفسه ، فليس عليه الا التبليغ وعلى الله بيان القرآن وجمعه وحفظه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » (٣) « انا علينا جمعه وقرآنه » •

---

(٢) آية ١٦ من سورة القيامة

(١) آية ١١٤ سورة طه

(٣) آية ٩ من سورة الحجر •

## ق

تم نزل قول الله « يا أيها المزمع قم الليل الا قليلا ،  
نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه وادل القرآن ترتيبا ،  
انا سنلقى عليك قولا ثقيلًا ، ان ناشئة الليل هي اشد  
وطأ واحوم قيسا ، ان لك في النهار سبحا طويلا ، واذكر  
اسم ربك وتبتل اليه تبتلا ، رب المشرق والمغرب لا اله  
الا هو فاتخذ له وكيلا ٠٠ » .

في هداة الليل وسكونه ٠٠ في تلك اللحظات التي  
تكون فيها النفس مستعدة للتلقى وللإشراق ٠٠ يأمر الله  
نبيه أن ينقطع فيها للمناجاة وللذكر وللتسبيح : قم  
الليل ، رتل القرآن ، اذكر اسم ربك ، تبتل اليه ٠٠ وتلك  
هي ركائز الاعداد النفسى والصقل الروحى لتقوى نفس  
محمد على تحمل تبعات الرسالة وتكاليفها ، وما أشقها ٠٠

ثم كانت فترة ٠٠ فترة زمنية بعد نزول تلك  
الأوامر الالهية السالفة ، كانت بمثابة اعداد وتهينة لاجواء  
تفرخ فيها الدعوة وتنتج ، وتنتقل من طور الى طور ، من  
طور السرية الى طور الجهر والعلانية ٠٠ في تلك الفترة  
الاعدادية لم ينزل الوحي على محمد « والضحي ، والليل  
اذا سجد ما ودعك ربك وما قلى » حقا ان محمدا كان ينتظر  
مدد الاله وعون الرب ووحى السماء ليأخذ بيده ويبد

أصجابه فى تلك الفترة الأولى من عمر الدعوة ، الا أن الرسول لم يقلق بهذه الصورة التى صوره بها بعض المؤرخين من المغالين وممن نهج نهجهم . . لم يقلق بتلك الكيفية التى زعموا أن الرسول كان عليها من الانزعاج والسير على غير هدى فى شعاب مكة ، حتى لقد تغالى البعض فزعم أن الرسول شعر بأنه لم يعد معضداً بالهام الله !! وأنه من شدة شوقه الى الوحي فكر فى أن يـقـذف بنفسه من ارتفاع شاهق وأن ينتحر ، وما كان للداعية الذى صنعه الله أن يلجأ الى ما يخالف تعاليم الله والى ما يغضب الله من ازهاق نفس أو وأد روح . على أن الذى يتتبع مسار آيات سورة الضحى يرى بعد تأمل وامعان أنها من قبيل الارشادات الالهية والبشارات . ومن قبيل التثبيت والتطمين للرسول ، فالرسول لم يلح أن ينزل الوحي عليه ، فما الوحي الا من عند الله وبارادة الله .

# أنذر

بعد مرحلة الاعداد والتهيئة الروحية أوحى الله الى رسوله أن تنتقل الدعوة - بعد أن كتب لها التثبيت وانتمكين في نفوس الرواد الاوائل المسلمين ، وبعد أن أسلم من أسلم في مدى هذه السنوات الثلاث التي سرت فيها الدعوة في مجال معين واطار خاص - أوحى الله الى رسوله أن تنتقل الدعوة الى مرحلة العلانية والاظهار ، وأن يجهر بها ويعلنها في العالمين دعوة عامة شاملة باقية ثابتة الى يوم الدين . « **يأيها المدثر قم فأنذر** » . ومعنى المدثر هنا : أى : الداعية الذى يدعو فى الخفاء ومن وراء ستار ودثار . . . يأمن جمعت التعاليم ودثرتها فى نطاق معروف وحيز محدود ، قم فأنذر ، انهض وانشر الدعوة وبشر من يتبعك وأنذر من يناهضك .

ومن عجب أن يدعى البعض أن الرسول كان متدثرا وملتفا بعباءته حينما نزل قول الله تعالى : « **يأيها المدثر قم فأنذر** » . وقد كان أكثر أقارب النبي، كما كان أعمامه جميعا ، فى بدء الدعوة على دين الجاهلية .  
مات عمه وحاميه أبو طالب وهو مقيم على معتقده الجاهلى الخاطى .

وعمه العباس ظل على شركه وإشراكه الى ما بعد هجرة الرسول الى المدينة .

وعمه أبو لهب أعماه التعصب الديني حتى صار  
أعدى عدو للنبي .

وأم جميل امرأة عمه أبي لهب كانت تحمل « في  
صدرها من الضغن على رسول الله أضعاف ما كان يحمل  
زوجها ، وكان دأبها أن تثير الفتن بينه وبين عشيرته ،  
وأن تسعى لدى القوم بالنميمة لتفسد عليه قلوبهم ، حتى  
وصفها الله أشنع وصف فسماها « حمالة الحطب » وهي  
صفة النمامة الواشية التي تشعل نار الفتن بين الناس  
فتحرق ما بينهم من صلوات الود والتراحم ، وهبط بها إلى  
أسفل درك حين صورها في صورة الخطابة التي لا تكاد  
تمشي إلا و « في جيدها جبل من مسد » تلم فيه الحطب من  
هنا ومن هناك ثم تحمله إلى كوخها لتشعل به نارها .  
والحق أن أم جميل أشد عداوة للرسول من زوجها أبي  
لهب فلم يكن يكفيها ما تثيره من الفتن بينه وبين قومه ،  
بل كانت تعمل دائبة على تحقيره وامتهانه ، وكانت تعيره  
بالفقر حيناً وبموت البنين حيناً ، وحيناً تضع في طريقه  
الشوك والقدر ، وحيناً تقرض فرسه ذمه الشعر وتثغني به  
في محالسيها وقد بلغ من عداوتها وحقدتها على الرسول  
أنها لم تكن تنطق باسمه قط ولم تكن تدعو له إلا  
« مذمماً » (١) .

---

(١) ص ١٤٢ من كتاب صور من حياة الرسول للويدار .



وعمه حمزه فقد ظل كذلك متمسكا بدين الجاهلية  
بضع سنين •

ونزل قول الله : « وأندر عشيرتك الأقربين ،  
واخفض جناحتك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل  
انى برى مما تعملون » (١) ولم يلبث الرسول أن ذهب  
الى جبل «الصفا» فصعد عليه وأخذ يصيح : « يا صباحاه !!  
يا صباحاه !! » وكان ذلك الصباح عند انحراب يومئذ نذير  
أمر هام أو خطب ملم - واجتمعت قريش حوله فقال :  
« أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الجبل تريد أن تغير  
عليكم أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم ،  
وما جربنا عليك كذبا قط ، قال : « فانى نذير لكم بين  
يدى عذاب شديد !! يا بنى عبد المطلب .. يا بنى عبد مناف  
.. يا بنى زهرة ، يا بنى تيم .. يا بنى مخزوم ، يا بنى  
أسد ، ان الله أمرنى أن أندر عشيرتى الأقربين ، وانى  
لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا إلا أن  
تقولوا : لا اله الا الله .. يا معشر قريش ، انقذوا أنفسكم  
من النار ، فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا .. ان مثلى  
ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله أن  
يسبقوه اليهم فجعل يهتف : يا صباحاه ! يا صباحاه !  
أتيتم أتيتم ! فقاطعه أبو لهب : « تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ »

---

(١) الآيات : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ من سورة الشعراء •

وأخذ يدعو المجتمعين للانصراف فنزل قول الله : « تبت  
يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصل  
نارا ذات لهب » .

« على أن هذه الصيحة لم تذهب سدى ، فقد شاع  
حديث الدعوة فى مكة منذ ذلك اليوم ، وتحدث الناس به  
فى مجالسهم وأنديتهم ، وجعلت نفوس أهل مكة تنهياً  
لهذا الأمر ، فأخذوا يتساءلون فيما بينهم : ما هذا الذى  
يدعو اليه محمد ؟ » فمتهم من هدى الله ومنهم من حقت  
عليه الضلالة ، فأما الذين كتب لهم السعادة فقد جعلوا  
يتسللون تباعا الى رسول الله ، يستوضحونه أمر هذا  
الدين الذى يدعو اليه ، فيشرحه لهم ، فيسلمون . . وأما  
الذين كتب عليهم الشقاء فقد أعرضوا عنها ، وعميت  
بصائرهم أن تستضىء بنورها ، وكانوا فى ذلك فريقين :  
فريق وقف منها موقف المواجهة والمسالمة ، فلم يقاومها ولم  
يعرض لها بسوء ، وفريق وقف منها موقف العداء والمحاربة ،  
فجعلوا وكدهم أن يقاوموها وأن يقضوا عليها ، وكان جل  
هؤلاء - بل كلهم - من الزعماء والسادة الذين رأوا فى  
هذه الدعوة قضاء على سيادتهم ، وخطرا على مصالحهم ،  
وكان أشدهم عداوة وأعنفهم حربا للرسول ودعوته  
أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، وعقبة  
ابن أبى معيط ، وقد كان الأخيران جارين للنبي يؤذيانه  
أشد الأذى ، وفى ذلك يقول صلى الله وسلم - فيما روت  
عائشة - : « كنت بين شر جارين : بين أبى لهب ، وعقبة

ابن أبي معيط ، ان كانا ليأتيان « بالفروث » (١)  
فيطرحانها على بابي ، حتى انهم ليأتون ببعض ما يطرحون  
من الاذى ، فيطرحونه على بابي ، فيخرج به صلى الله عليه  
وسلم فيقول : يا بني عبد مناف ، أى جوار هذا ؟ ثم  
يلقيه فى الطريق » (٢) .

---

(١) الفروث : ما يخرج من كرش الذبيحة .

(٢) من ص ١٤٥ من كتاب صور من حياة الرسول .

## اصْبِرْ

وما كان طريق الدعوة الا مملوفا صعبا وقلقل ..  
كيف لا ؟ وهو يتطلب من الذين فاعوا الى ظلاله أن يغيروا  
معتقداتهم وينضوا عنهم ما توارثوه من رواسب وتقاليد ..  
وواجه محمدا معارضون .. ومكذبون ، بل ومعتدون  
آثمون ، لجأوا الى طريق القوة ..

والحق في مبدئه أمره تحجبه أوهام الأباطيل ، ثم  
ما تلبث شمسُه في السطوع مبددة السحب والضباب  
موضحة الرؤية ..

ويسير الوحي الالهي يكلاً الدعوة والداعية .. يهدي  
ويرشد ويوجه .. وتتوالى توجيهاته وإرشاداته .. وهذه  
شحنة من ايمان يلقيها الوحي على محمد وفي قلب محمد  
ليصمد ويثبت .. يصمد في ميدان الدعوة ويثبت أمام  
تكذيب قومه ، ويتسلح بالصبر ليصل في النهاية الى  
النصر .

« فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت اذ  
نادى وهو مكظوم ، لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ  
بالعراء وهو مذموم ، فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (١) »  
« فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع

---

(١) آية ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ من سورة النمل .

الشمس وقبل الغروب » (١) « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (٢) » « فاصبر ان وعد الله حق » (٣) « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (٤) « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا » « واصبر وما صبرك الا بالله » (٥) .

وتتوالى الارشادات الالهية على محمد تبين له الطريق وتعينه ، وتكشف له عن خوالج ونفسيات وحالات ومواقف « فلا تطع المكذبين ودوا لوط تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم » (٦) .

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا » (٧) .

أمر الهى للرسول بالصبر على مزاعم المكذبين ومناوراتهم ثم هداية له وتبيان : صبر ، وهجر وذلك الهجر لا يكون هجرا قاسيا صارما لا رجعة فيه ، لا ، ان ذلك ينفر الناس ويبعدهم عن الدعوة والداعية ، بل هجر « جميل » يتسق مع مهمة الهادى المرشد .

(٢) آية ١٠٨ من سورة يونس

(٤) آية ٣٥ من سورة الاحقاف

(٦) آية ٩ من سورة القلم

(١) آية ٣٩ من سورة ق

(٣) آية ٥٥ من سورة غافر

(٥) آية ١٢٧ من سورة النحل

(٧) آية ١٠ من سورة المزمل

ورسول الله لاقى في سبيل نشر رسالة ربه ألوانا  
من السخرية والاستهزاء ، والنفس ظد تنحرف أو تنحدر  
أو تخور وتستسلم عندما تجابهها شدة أو أزمة نفسية أو  
سخرية قاسية أو استهزاء مرير .

وآنئذ تظهر مهمة الربى الذى يحصن النفس من أن  
تندفع الى مهاوى اليأس فيقويها بتوجيهه ويربها ويهديها  
الى الصمود والثبات والصبر ، ولكى يحصن الله نفس  
رسوله محمد يعرض عليه ألوانا من مواقف عدة جابهت  
من سبقه من رسل الله ويعرض عليه موقف المعاندين  
ومسلكهم : من التكذيب والتعذيب والاستهزاء والسخرية  
من كل رسول يرسله الله اليهم ..

والقرآن يعرض على رسول الله تلك الشرائع ويقص  
ما لاقاه الرسل من قبله من العنت والشدة ومن المؤامرات  
والسخريات ، ليثبت محمد كما ثبت زملاؤه من قبل ،  
وليصمد كما صمدوا .. « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل  
ما نثبت به فؤادك (١) » وبين له الطريق الذى سلكه  
الأنبياء من قبل حيال مكذبيهم ليسلكه : « ولقد كذبت  
رسل من قبلك فصدروا على ما كذبوا (٢) » فاصدع  
بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزين (٣)

---

(١) آية ١٢٠ من سورة هود .

(٢) آية ٣٤ من سورة الانعام .

(٣) آية ٩٤ من سورة الحجر .

ويثبت الله جنان الداعية ويحيطه خبرا بكل مقالات  
 المكذبين ومنطقهم ودعاواهم وأوهامهم ، وما هو ذا القرآن  
 يعرض على محمد أقاويلهم : « وقالوا ما لهذا الرسول  
 يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » كما يعرض عليه الإجابة  
 الإلهية : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون  
 الطعام ويمشون في الأسواق » « وقالوا : لن نؤمن لك حتى  
 تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل  
 وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء  
 كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلة ، أو  
 يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن  
 لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل  
 كنت إلا بشرا رسولا » (١) « قل ما كنت بدعا من الرسل  
 وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع إلا ما يوحى الى وما  
 أنا إلا نذير مبين » (٢) •

ولابد للعننت والتكذيب والمسارة من أن تشق على  
 النفس وتعمق فيها أخاديد غائرة تحزن وتؤلم ، فلا عجب  
 بعد أن انتابت قلب محمد نوبات من حزن وألم نفسى من  
 جراء هؤلاء السلبيين الذين نأوا وأعرضوا وهو الحريص  
 على هدايتهم ، ومن جراء المكذبين والمناوئين - وما كان  
 أكثرهم فى مستهل الدعوة •

(١) آيات من ٩٠ : ٩٣ من سورة الاسراء •

(٢) آية ٦ من سورة الأحقاف

والقرآن يسلي محمدا ويقول له « لعلك باخع نفسك  
 ألا يكونوا مؤمنين » ان نشأ نزل عليهم من السماء آية  
 فظلت أعناقهم لها خاضعين « (١) » فلا يحزنك قولهم انا  
 نعلم ما يسرون وما يعلنون « (٢) » ولا تحزن عليهم ولا  
 تك في ضيق مما يمكرون « (٣) » ولقد نعلم أنك يضيق  
 صدرك بما يقولون « (٤) » قد نعلم انه ليحزنك الذي  
 يقولون فاهم لا يذبونك ولكن الظالمين بآيات الله  
 يجحدون « (٥) » ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا  
 هو السميع العليم « (٦) »

وكان من الطبيعي أن يدعو القرآن محمدا الى سلاح  
 يتسلح به تجاه أعداء الدعوة ٠٠ سلاح فيه البشارة وفيه  
 تطمين لفؤاد الداعية ٠٠ سلاح الصبر ، الصبر يتسلح به  
 محمد حتى يتغلب على اليأس ان انتابه يأس ، ويتغلب على  
 القلق ان جرفه تيار القلق الى أودية بعيدة من الفتور  
 والسلبية أو القعود والنكوص ٠٠ الصبر الايجابي ٠٠  
 البعيد عن التخاذل والتواكل والاستسلام « فاصبر لحكم  
 ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان  
 تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو ملوم فاجتبه ربه  
 فجعله من الصالحين « (٧) »

(٢) آية ٧٦ من سورة يس  
 (٤) آية ٩٧ من سورة الحجر  
 (٦) آية ٦٥ من سورة يونس

(١) آية ٤ من سورة الشعراء  
 (٣) آية ١٢٧ من سورة النحل  
 (٥) آية ٣٣ من سورة الأنعام  
 (٧) آية ٤٨ من سورة القلم



## يَسْأَلُونَكَ .. قَل

النبي داعية يدعو الى سبيل موصل الى هدف، ويدعو الى وسائل تسلم الى غايات ، وينشر مفاهيم جديدة مناهضة لجو الشرك والجهالة والوثنية ، فلم يكن بدعا أن يتطلع اليه طالبو الحقيقة : يسألون ويستفسرون ، ولم يكن بدعا كذلك أن يسعى اليه الجاحدون والجامدون يسألون ويتحدون .. ويتحداه شائثوه بأسئلتهم • يبغون تعجيزه ، لينفذوا من هذا التعجيز الى النيل من دعوته والتشكيك فيه وفيها •

ويسأله أصحابه .. ويسأله أعداؤه ، يسألونه عن دقائق وعوالم وحيوات ، يسألونه عن ظواهر الطبيعة ومظاهر الكون والفلك ، يسألونه عن مناحي اجتماعية، وعن شئون الحرب والاسلاب والغنائم والانفال يسألونه عن مشكلات ومستحدثات طرأت على دنياهم ومجتمعهم .. وهم ما بين مستفت ينشد الحق ويستشرف المعرفة ويبغى العلم لوجه الله والعلم ، وما بين مكابر ومجادل لا يريد الا المكابرة واللجاج ، والنبي أمي .. لم يقرأ كتابيا ولم يخط حرفا ولم يجلس بين يدي ملقن .. ولم ير الا جو الصحراء: جو الرمال والحيام .. جو البداوة والبداية الانسانية ، جو لم ترفهه المدنية ولم تسعده المبتكرات ، فلم يسمع

أزیز طائفة ، ولم ينعم بقوى الكهرباء . . . ويتلقى الرسول أسئلة السائلين . . . ويتلقى من ربه الاجابة عنها ، « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فآخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح » « يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكن الا بغته يسألونك كانك حفى عنها قل انما عملها عند الله » « يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول » « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى » .

فلا عجب بعد أن تحدث البدوى القديم بلغة المدينة الحديثة فأخبر عن كل ما سئل عنه . . . وروى ما أثبت التاريخ صدقه ، وكشف الأمل عن آفاق ما زالت الى الآن تعجز المنقطعين لها وتعز على المتخصصين فيها .

# لا تحزن

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ،  
« لا تملن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، ولا  
تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين • وقل انى آنا  
النذير المبين (١) » •  
تربية الهية :

للباطل صولة ، وله موكب فيه كل مخاتل مخادع ،  
وللباطل مظهر يقوم على التسلط ، وهالة تحوطه وتظهره  
كأنه القوة كل القوة والثراء كل الثراء وأنه النعيم الذى  
لا يفنى والجاه الذى لا يبيد ، وغالبا ما يعشى سناؤه الأعين ،  
وغالبا ما يبهى ضياؤه القلوب فتدعن للآلآه الكاذب ولبريقه  
السام •

وتمتد الأعين مأخوذة مبهورة •• وتمتد الاعناق  
متطلعة •• خاضعة مستسلمة ••

واقتضت التربية الالهية لمحمد أن ينبهه مولاه الى  
الخطر الكامن وراء هذا المظهر الخداع •• وأن يحذره من  
هذه القوة الضعيفة ومن هذا المتاع الكاذب فقال له :  
ولا تملن عينيك متطلعا فى اعجاب ونشوة الى ما متعنا به

---

(١) آية ٨٨ ، ٨٩ من سورة الحجر

أصنافا من أهل الكفر ، وما أفضنا عليهم من مهابة ومكانة ، وما ألقنا عليهم من سلطان وزخرف ومتاع ولا تتأزم نفسك بهذا البهرج ، فانت الأعز الأقوى ، لما حيوناك به ولما منحناك إياه : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (١) ، لا تملن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، ولا تحزن عليهم » .

وتلك الصولة الباطلة ، وهذا المال والمتاع والزخرف غالبا ما يدفع بصاحبه الى الجحود والى العناد والتكبر ، والترفع عن أن ينخرط مع سائر المؤمنين فيما آمنوا به . . وينأى بركنه ، ويعرض ، لذا أعرض أصحاب الثراء — ومعهم أتباعهم — عن الاستماع الى محمد ، وحتى لا يؤثر اعراض هؤلاء وتكبرهم على الرسول ، حماء الله وصان نفسيته فقال : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر (٢) »  
 « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر (٣) »  
 لا تأس عليهم يا محمد حينما يصمون آذانهم عن الاستماع الى دعوتك « ولا يحزنك قولهم ، ان العزة لله جميعا (٤) » ومن كفر فلا يحزنك كفره اليانا مرجعهم فننبئهم بما عملوا (٥) «  
 « فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٦) »  
 وحسبك اصحابك واتباعك المؤمنين ، فاخفض جناحك لهم

(٢) آية ١٧٦ من سورة آل عمران

(٤) آية ٦٥ من سورة يونس

(٦) آية ٧٦ من سورة يس

(١) آية ٨٧ من سورة الحجر

(٣) آية ٤١ من سورة المائدة

(٥) آية ٢٣ من سورة لقمان

وعاملهم برفق ولين ، فما كتب لدعوة نجاح وصاحبها  
مستبد متسيطر ، وما كتب النجاح الا لداعية رحيم :  
« فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب  
لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم » واستغفر لهم ، وشاورهم  
في الامر ، فاذا عزمتم فتوكل على الله (١) » .

ان الله صنع محمدا واصطفاه ورياه ، وان شمائله  
الرفيقة وصفاته المثالية أجملها التعبير القرآني في قوله  
« لنت » لم يلينوا هم لك رغبة أو رهبة ، وانما انت الذي  
لنت لهم بسبب رحمة من الله ، ومن عنته رحمة الله كان  
رحيما بعباد الله ، وكيف لا ؟ وهو المبعوث رحمة للعالمين  
« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (٢) » والرسول يقول : « انما  
انا رحمة مهداة » فاعف عنهم : وهكذا صاحب النفس الكبيرة  
والقلب الرحيم الرحيب يعفو ويصفو وبالعفو يرتد الجانح  
ويلين الجامح . واستغفر لهم : أما من أقام على ضلاله  
وسدر في غوايته وتاه في تيهه فاطلب له من الغفور المغفرة  
ليعود بفضلها الى حظيرة الايمان . وشاورهم في الامر :  
فاذا ما حزبك أمر أو جد في دنياكم ما يشغلكم ويهمكم ولا  
تدرون وجه الصواب فيه ولم يكن فيه أمر منزل أو حكم  
مقضى مبرم ، فالشورى ، وهي خلاصة الآراء مجتمعة ،  
فيها الحل الأسلم الأصوب .

---

(١) آية ١٥٩ من سورة آل عمران (٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء

## إسراء.. ولقاء

(١) في حياة الرسول ظواهر الهيبة ، أوجدها الله .  
ليختبر بها القلوب ، ويمحص بها الأفئدة ، ويصهر بها إيمان  
المؤمن فيزداد إيماناً ، ويكشف بها من كان واهن الإيمان  
واهى العقيدة ، فيبعده عن شريعته الســـــــــــــــــمحة ورحمته  
الرحيمة .

والإسراء والمعراج ظاهرتان الهيئتان ، وقعتا والمجتمع  
الإسلامي وليد ، والعقل العربي لم يصقل بالمعارف ، ولم  
تهيئه المخترعات العلمية لأن يؤمن بهاتيك الظواهر إيماناً  
لا يتطرق إليه ريب ، لذلك ارتاب بعض من أسلم عندما  
سمع حديث الإسراء والمعراج .. وصباً .. وارتد ..  
وأض الى وثنيته وواد صيحات الإيمان في أعماقه ، وآمن  
بصوت العقل .. عقله العاجز القاصر الذي استبعد حدوث  
الإسراء والمعراج ، وآمن على قولة أبي جهل المخزومي الذي  
سار في طرقات مكة يصيح بأعلى صوته :

يا معشر قريش ، أصيخوا أسماعكم ، لتسمعوا  
أعجب نبأ طلع به علينا محمد ، انه يزعم انه أسرى به  
الليلة الماضية من المسجد الحرام بمكة الى بيت المقدس ثم

---

(١) من مقال للمؤلف عنوانه « اللقاء بين الله ومحمد » منشور . بجريدة

رجع في نفس الليلة!! ان هذه الرحلة تستغرق منا شهرين في الذهاب والعودة ، ومحمد يزعم انه قطعها في لحظات !

أما ذوو العقيدة المكيئة المتينة ، والایمان القوى القويم فقد آمنوا في قوة ويقين بكل ما أخبر به محمد الذي لا ينطق عن الهوى : ظهر ذلك الايمان من أبى بكر عندما رد في ثبات واصرار على صيحات المخزومي قائلا : ان كان محمد قال ذلك فوالله لقد صدق في مقالته ، وكيف لا ؟ وما عهدنا عليه كذبا في الجاهلية والاسلام .

وانطلق أبو بكر متوجها الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم، الذي كان حوله المشركون والمسلمون يسمعون منه أنباء رحلته التي بدأت عندما كان نائما بجوار الكعبة، فجاءه جبريل ، فأيقظه ثم قال له : تقدم يا محمد ، واركب . ونظر الرسول فوجد دابة عجيبة غريبة ، انها «صاروخ الهى» لها جناحان كبيران لترتفع بهما في الهواء، وتشق بهما طبقات الفضاء ، وركب الرسول «البراق» وسار بجانبه جبريل متوجهين الى «بيت المقدس» .

وعرف محمد من جبريل أنهما في طريقهما الى رحلتين الهيتين : رحلة في الارض ، من مكة الى الشام ، ورحلة في السماء من الشام الى لقاء الله .

ولما فرغ الرسول من زيارة بيت المقدس بدأت رحلتهما الثانية الى السماء . .

ورأى الرسول معراجا « سلما الهيا » أعد ليرتفع بهما  
الى السموات ..

وفى كل سماء كان محمد يرى عجبا .. رأى صوراً  
لحساب المذنبين ومعاقبة المجرمين يوم القيامة ..  
ورأى نماذج أخرى لما أعدّه الله - فى هذا اليوم  
أيضاً - من نعيم لعباده المتقين ، ثم صعد جبريل بالرسول  
الى ما بعد السماء السابعة حتى وصلا مكانا به « سُدرة  
المنتهى » وعندها رأى الرسول من المشاهد والآيات الالهية  
مالا يمكن وصفه .. ورأى جبريل تتغير هيئته فجأة ،  
ويظهر على حقيقته التى خلقها الله عليه ، وقال لمحمد  
معتذرا : لا أستطيع أن أرافك يا محمد ، فالى هنا وينتهى  
صعودى معك ، ولو تقدمت خطوة بعد ذلك لاحتقرت ولكل  
منا مقام معلوم ومكان لا يتخطاه ، فتقدم أنت .

وتقدم محمد .. واتجه وحده للقاء ربه ، ولما شاهد  
نور ربه قال : التحيات لله والصلوات الطيبات .. فرد  
الله عليه : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .  
وردت الملائكة : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين  
وظل محمد يناجى ربه ، ويتوجه اليه بالدعاء والثناء ..  
ولما انتهى اللقاء هبط رسول الله الى بيت المقدس ،  
وهبط معه الانبياء تكريما له وتعظيما ..

ثم ركب « البراق » وقد عاد الى مكة وقد بدأ الظلام  
يجمع ظلاله ويخفى سواده .. ثم نشر الضياء خيوطه



وأنواره ، وبدأت معه الحياة تلعب في نواحي مكة وأرجائها  
ولما انتهى الرسول من حديثه لمن حوله عن رحلتيه ،  
وما لقي فيهما من عجائب وغرائب ، قال بعض المشركين  
الذين كانوا قد ذهبوا الى بلاد الشام في التجارة ورأوا  
«بيت المقدس» أكثر من مرة مريدين اعجاز النبي :

ان كنت رأيت بيت المقدس بالامس فصفه لنا ، فتحن  
أدري الناس به ، وبما فيه .

ولكى يصف النبي لهم البيت وصفا دقيقا وضع الله  
أمام عينيه في هذه اللحظة صورة كاملة واضحة لبيت  
المقدس رآها الرسول وحده وأخذ ينظر اليها ، ويصف  
للمجتمعين حوله وصفا دقيقا للبيت ومافيه من بناء وأثاث .

وعندئذ كبر أبو بكر - رضى الله عنه ، وصاح في  
فرح : « مابعد ذلك من وصف ، لقد شاهدتم بيت المقدس  
مرارا ورأيتم مافيه ، أما محمد فكلنا نعلم انه لم يذهب قبل  
هذه الليلة الى بيت المقدس ، ومع ذلك فلن يستطيع أحد  
منكم أن يعرفه هذا التعريف الكامل والوصف الشامل  
الدقيق الا الرسول الصادق الأمين .. صدقت يا رسول  
الله .. صدقت يا رسول الله »

وعن ذلك يقول القرآن في سورة «الاسراء» : «سبحان  
الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى  
الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع  
البصير » .

# صلاة

وفى تلك الليلة .. ليلة الاسراء واللقاء فرضت الصلاة على النبي خمسة أوقات .

قال أنس بن مالك : « فرضت على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، : الصلوات ، ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى يامحمد ، انه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين » .. خمس صلوات فى العدد لهن ثواب الخمسين فى الاجر .

وكان المسلمون فى مبدأ أمرهم يؤذون صلواتهم على هيئة أدعية وابتهالات من غير عدد محدد أو وقت متعارف عليه ، الى أن فرضت الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام وعلى أمته فى حضرة القدوس الأعلى . ولعلها (١) كانت هى السر العظيم الذى افضى به الملك الجليل الى عبده ورسوله ، فان الصلاة هى الصلة الدائمة بين العبد وربّه ، وهى لب العبادة وجوهرها وعماد الدين وركازه ، فاذا ماتوطلت هذه الصلة بين العبد وربّه كان أول مظاهرها الا يذل الا له ، ولا يستعين الا به ، ولا يعمل الا بتغاء رضوانه .

ومن هنا كانت الصلاة أول ما فرض من فرائض الاسلام لأنها أول مظاهر التدين ، وأقوى وسائل الاتصال بين العبد

---

(١) من صفحة ٢٥٨ من كتاب صور من حياة الرسول لامين دويدار

وربه ، فان وقوف العبد بين يدي مولاه خاشعاً متذللاً  
متجرداً من كل معاني الحول والقوة ، يدعو ٠٠ ويناجيه ٠٠  
ويستعينه ويستهديه ، موقناً أنه — هو وحده — مصدر  
النعم ، وواهب القوى ومالك الأمر في الدنيا والآخرة ٠٠  
ان وقوفه هذا ، على هذه الحال من الضراعة والخشوع ،  
ومن التجرد والشعور بالضعف ومن التذلل والابتهاال في  
طلب المعونة هو لب الدين وحقيقته ، وهو سر العبادة  
وجوهرها •

ومن أجل هذا كانت الصلاة عماد الدين ، وكانت  
المحافظة عليها واجبة في السفر والاقامة ، وفي الأمن  
والخوف ، وفي الصحة والمرض ، وكان تكرارها خمس  
مرات في اليوم والليلة تدعيماً لهذه الصلة •

ان الانسان معرض في حياته لكثير من الصعاب ،  
وكثيراً ما تخول قوى الشر بينه وبين ما يبتغيه من الخير ،  
وكثيراً ما تضطره ضرورات العيش الى ان يجحد عن الطريق  
السوى ، وكثيراً ما تخدعه مغريات الحياة الدنيا فيستجيب  
لها ويستمرى لذائذها ، والانسان بطبعه ضعيف لا  
يستطيع وحده ان يقاوم عناصر الشر وهي كثيرة جذابة ،  
فاذا لجأ الى ربه ، ووقف بين يديه متضرعاً يستمد منه الحول  
والقوة وجد منه العون والحماية ، وتضاءلت أمامه القوى  
مهما عظمت ، وانهزمت له عناصر الشر مهما كثرت ، وكان  
رسول الله — صلى الله عليه وسلم اذا حزبه (١) أمر فزع

(١) اشتد به أمر أو أصابه هم

الى الصلاة ، ولعل هذا هو مرمى قوله تعالى : قوله تعالى :  
« واستعينوا بالصبر والصلاة » :

وفي الصلاة تزكية للنفس وتطهير مستمر ؛ لأنها  
اتصال دائم بالله عز وجل ، ومتى كان العبد دائم الصلاة  
بربه فقد أصبح أكثر خشية له من سواه ، وأكثر حرصا  
على طاعته ، وأشد بعدا عن مخالفته ، فإذا ماخدعه الشيطان  
فأقدم على ارتكاب اثم ، تذكر أنه بعد ساعة أو ساعتين  
سيقف بين يدي ربه الذي يعلم السر وأخفى ، فيستحي  
أن يقف بين يديه وهو آثم ، فيسارع الى الاستغفار  
والتوبة ، فلا تحضره الصلاة الا وقد رجع الى الله تائبا  
منيبا :

« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا  
فاذا هم مبصرون » ولعل هذا هو معنى قوله تعالى : ان  
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر »  
• وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر هذا  
لأصحابه بقوله : « أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل  
منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ » قانوا :  
لا يبقى من درنه شيء ، قال : « فكذاك مثل الصلوات  
الخمس يمحو الله بهن الخطايا » •

والصلاة لقاء محبة وأنس بين العبد وربّه يفرح به  
المؤمن الصادق كما يفرح الحبيب بلقاء حبيبه ، وتهيم  
اشواقه اليه فلا يزال يسعى له ويستزيد منه ، ولن يدرك  
هذه الحقيقة الا من غمر الايمان الصادق جوانب نفسه ،

حتى صفت روحه ورقت حواشيه وششف وجدانه ،  
فانكشفت له صورته من جلال الله وكماله ، فامتلاً قلبه  
بحبه فاتخذ الصلاة وسيلة الى لقائه كلما دفعه الشوق الى  
هذا اللقاء ، ولعل هذا هو تفسير قول الرسول صلى الله  
عليه وسلم : « جعلت قرّة عيني في الصلاة » فقد كان صلى  
الله عليه وسلم اذا انتظر الصلاة هامت اليها اشواقه ،  
فيقول : « ارحنا بالصلاة يا بلال » لما كان يجده في الصلاة  
من الانس والانتعاش الروحي بقاء ربه .

ان الصلاة أقوى صلة بين العبد وربّه فاذا أحسن  
العبد هذه الصلة فقد وضع يده على كنز من القوة لا ينفد  
وعلى معين من الأنس لا ينضب ، وعلى مسدّد من الرحمة  
لا ينقطع .

ومن أجل هذا كانت الصلاة أول فرائض الدين ،  
واكثرها دورانا مع الليل والنهار ، .

« كتب (١) الله الصلاة على عبّيده ، واقتضت حكمته  
أن تكون أنفع وأصح مامنهم من خير . . »

نعم ، خمس صلوات في اليوم ، تمكن بنى البشر من  
الراحة التامة خمس مرات يوميا ، فتحول بينهم وبين  
الانفعالات والعواطف المثيرة التي تؤدى تارة الى المغالات  
فى الفرح ، وذلك بطريق يؤدى الى الرذائل ، وتارة الى  
المغلاة فى الحزن ، وذلك بطريق قد يؤدى الى جنون اليأس ،

---

(١) ص ١٦٥ من كتاب محمد رسول الله

خمس صلوات يومياً بما لهن من مقدمات فى الطهارة  
يلزم من الانسان بالتفكير فى نظافة بدنه وصفاء روحه .  
**أوقات الصلاة :**

عن جابر بن عبد الله ، ان النبى صلى الله عليه  
وسلم : « جاءه جبريل ظهرا ، فقال له : قم ، فصله ،  
فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر فقال :  
قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شئ مثله ، ثم  
جاءه المغرب ، فقال : قم فصله ، فصلى المغرب حين غربت  
الشمس ، ثم جاءه العشاء ، فقال : قم فصله ، فصلى  
العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر ، فقال : قم ،  
فصله ، فصلى الفجر حين برق الفجر ( أو أقال : سطع  
الفجر ) ثم جاءه من الغد للظهر ، فقال : قم فصله ، فصلى  
الظهر حين صار ظل كل شئ مثله ، ثم جاءه العصر ،  
فقال : قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شئ  
مثليه ، ثم جاءه المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه ، ثم جاءه  
العشاء حين ذهب نصف الليل ( أو ثلث الليل ) فصلى  
العشاء ، ثم جاءه حين أسفر جدا ، فقال : قم فصله ،  
فصلى الفجر ثم قال : ما بين هذين الوقتين وقت » .

### **أذان الصلاة :**

وكانوا اذا جاء وقت الصلاة نادى منادى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « الصلاة جامعة » فيجتمع المصلون ،  
وأحيانا ما كانوا يجتمعون لوقت الصلاة من غير نداء أو

دعوة • « وكان رسول الله قد أهمه أمر الأذان واعلام الناس بالصلاة ، حتى قال : « لقد هممت أن أبعث رجلا فيقومون على أطام المدينة ، فيؤذنون الناس بالصلاة » • واستشار أصحابه في هذا الامر ، فقال بعضهم : نستخدم الناقوس كما يفعل النصارى ، وقال آخرون : ننفض في البوق كما يفعل اليهود ، وقال البعض : نضرب بالدف كما يفعل الروم ، وكان من رأى لفيف منهم أن يوقدوا النار كما يفعل المجوس واقترح بعضهم أن ترفع راية اذا حان وقت الصلاة ، فاذا رآها الراعون أخبروا بها المصلين ، بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض أى رأى من هذه الآراء ، لانه كان يحب ان يكون للعمل الاسلامى طابعه المميز الخاص ، وانفض ذلك المجلس الاستشارى من غير أن يتفق فيه على رأى ، وقام الرسول مهتما وقام أصحابه كذلك • قال محمد بن اسحق عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن زيد بن ثعلبة قال : « بينما هم على ذلك - وقد أجمع البعض على أن يضرب بالناقوس ، فكره النبى ذلك لموافقة هذا الصنيع لصنيع النصارى - طاف بى من الليل طائف وأنا نائم : رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت له : يا عبد الله ، اتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به الى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ، قلت : وما هو ؟ قال : تقول : « الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن

محمدا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ،  
حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ،  
لا اله الا الله ، فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، فأخبرته بما رأيت ، قال : « انها لرؤيا حق ان  
شاء الله ، فقم مع بلال ، فألقها عليه فليؤذن بها ، فانه  
أندى صوتا منك » .

فلما أذن بها بلال ، سمعها عمر بن الخطاب ، وهو  
في بيته ، فخرج الى رسول الله وهو يجز رداءه وهو يقول :  
يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي  
رأى . فقال رسول الله : « فله الحمد على ذلك » .

وأخذ بلال يؤدي مهمته ، فيجمع للصلاة المسلمين  
على اختلاف طبقاتهم واجناسهم ، وعمد الى سطح المسجد  
فصدح منه بذلك النداء الصادر من أعماق الروح  
الاسلامية الله أكبر .. الله أكبر ..

كانت هذه الكلمات ، كلمات الاذان ، خارجة من فم  
بلال في قوة وانسجام كأنها المياه المعطرة تسيل من ابريق  
نفيس ، وكانت تنتشر في جميع ارجاء المدينة منسابة  
داخل المساكن ، وكان المؤمنون يأتون سراعا أفواجا  
أفواجا ، ليتنسّموا في لذة طيب الصلاة المنعش .

ومن ذلك الحين من أعلى المنارات المرتفعة الرشيقة في  
جميع بقاع العالم يدعو المؤذن للصلاة خمس مرات في  
اليوم (١) .

(١) ص ١٦٥ من كتاب محمد رسول الله



## قبلة الصلاة :

والقبلة هي رمز الوحدة العقيدية ، واليهما يتجه المصلون في اليوم مرات ٥٠ ومرات ، تجمعهم ، وتربطهم وتوحد هدفهم . ولقد كان المسلمون في مستهل حياتهم العقيدية يصلون ، ولم تكن صلاتهم اذ ذاك الا اتجاها الى الله في دعاء وتوسل وخشوع ، ولم تكن لهذه الصلاة اوقات معينة ولا طقوس خاصة ، ولم تكن تتعدى ابتهالات ورجوات يرفع بها المسلمون أكف الضراعة الى الله ، وتسبيحات وتحميدات على ما أفاء الله عليهم من منة الاسلام ونعمة الهدى والايمان : **لله المشرق والمغرب ، فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم (١) .** فالله في كل مكان ، لاتحد جهة ولا تحصر أمكنة ، ليس له صورة ولا حدود محصورة ، أينما تولوا وجوهكم له بدعائكم ورجائكم ففي هذا الاتجاه يكون الله معكم ويسمع دعاءكم ويحقق رجاءكم ان الله واسع لا يتحدد ولا يحصر عليم بمن توجه اليه اينما كان فاعبدوا الله حيثما كنتم ونزهوه حيثما حللتم وادعوه وارجوه أنى كنتم فهو معكم ٥٠ وقريب منكم يجيب دعوة الداعى ويحقق رجاء المصلى المبتهل .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتشوق ويتشوق

---

(١) آية ١١٥ من سورة البقرة

•• يتشوق الى أن توجد قبلة يتجه اليها المصلون في صلاتهم  
ترمز للوحدة في المتجه ، وللاتحاد في العبادة ، وأحسن  
صلوات الله وسلامه عليه (١) حينما أوشك أن يتم  
مسجده الأول احسن بمقدار التسامى والجمال الذى سوف  
تصل اليه الصلوات اذا ما اتجهت القلوب كلها نحو جهة  
واحدة ، فاتحدت النفوس فى مثل اعلى واحد نشأ عن ذلك  
الاتجاه الواحد ، لذا عمد الى قالب مصنوع من الحجر  
والطين ووضع ملامصا للحائط الشمالى من المبنى وبه  
عين القبلة الاولى « وكانت بيت المقدس » •

وكان الرسول بآدى الامر ( قبل الهجرة ) وقبل  
بناء مسجده الاول كان يتجه فى صلاته الى الكعبة قبله  
أبيه ابراهيم ثم أمر بعد الهجرة ، فاتجه الى المسجد الاقصى  
وظل يصلى فى هذا الاتجاه قرابة عام وبعض عام ، « وقد  
اتجه الى المسجد الاقصى عزوفا عما كان فى مكة من اصنام  
وتفاديا من اشتراكه فى الاتجاه اليها مع المشركين ، أو  
لعله فعل هذا عند هجرته من مكة من أجل هذين السببين  
من جهة وتأثرا من موقف أهل مكة الجحودى المؤذى الذى  
اضطره الى مفارقة مكة من جهة ، وتأثرا لليهود وتسهيلا  
لاجابتهم لدعوته من جهة ثالثة ، ولكن اليهود وقفوا منه  
موقف الانكار والجحود والنس من جهة واخذوا يزهون  
عليه وعلى المسلمين بأن اتجاههم الى قبلتهم هو اعتراف  
بأنهم على الهدى ، وبأن النبى والمسلمين انما يقتبسون

---

(١) ص ١٩٤ من كتاب محمد رسول الله

الهدى منهم ، وبأنهم أولى أن يتبعوهم ويندمجوا فيهم ، لا العكس ، فحز هذا في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وانثبتت فيها أمانة التحول عن سمت المسجد الأقصى (١) وظل الرسول يتشوق ويتطلع الى أن تتجه القبلة الى قبلة أبيه ابراهيم . الى الكعبة . وكان يتوقع ، كما يقول الزمخشري (٢) « كان يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة ، لأنها قبلة أبيه ابراهيم ، وأدعى للعرب الى الايمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ، ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل والوحى بالتحويل » .

ونزل وحى الله يعبر عن حالة محمد ونفسية محمد وأمنية محمد : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

اننا يا محمد نرى تردد وجهك وتصرف نظرك الى السماء تطلباً للوحى فيما يختص بتحويل القبلة فلنوجهك الى قبلة تحبها وترضاها هي قبلة أبيك ابراهيم ، فول وجهك جهة المسجد الحرام ، وأنتم يا أتباع محمد في أية جهة كنتم وفي أية بقعة من بقاع الارض ضمتكم . في بر أو بحر ، في مشرق أو مغرب ، فليكن متجهكم في صلواتكم الى رمز وحدتكم الايمانية واتحادكم العقيدى المسجد الحرام . البيت الحرام « الكعبة » .

(١) ص ٧٩ من كتاب سيرة الرسول لمزة دروزه

(٢) ص ١٠٠ ج ١ من تفسير الكشاف

ان فى مطلع تلك الآية « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » قرينة قوية على ما اعتلج فى نفس محمد من أزمة بسبب الاتجاه نحو المسجد الاقصى وزهو اليهود وموقفهم من ذلك ، وعلى ما قام فيها من رغبة فى التحول عنها ، وقوله تعالى : « فلنولينك قبلة ترضاها » يمكن أن يلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم حين صار يائسا او كاليائس من اليهود وثارت فى نفسه تلك الأزمة وقامت فيها هذه الرغبة تراءى له ان اتجاهه الى قبلتهم مما يضعف قوة دعوته ، وأن دعوته الى قبلته الأولى مما يؤلف قلوب العرب كما ان ذلك هو الأولى ، لانها بيت الله العربى القديم الذى يعرفه العرب ويرتبطون به ، والذى هو من عوامل وحدتهم الروحية بسبب اشتراكهم جميعا فى حجة ، فكان يتمنى ان يتحول اليها فى صلاته وتكون قبلته ثانية ، ولعله كان يسمع تأللا أو انتقادا أو يرى حيرة العرب مسلمين وغير مسلمين من الاتجاه الى المسجد الاقصى واهمال الكعبة وهى بيت الله العربى المقدس منذ قديم الاحقاب ، فكان هذا مما قوى ما فى نفسه من الرغبة والأمنية (١) .

ثم يقول الله : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم (٢) » .

(١) ص ٧٩ من كتاب سيرة الرسول لعزة دروزه

(٢) من سورة البقرة من الآيات ١٤٢ - ١٥٢

« ان استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض  
وانما جعلنا الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا ، وهي  
بيت المقدس لمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم  
ومن ينفر عنه (١) » .

فما كان ذلك التحويل الا امتحانا لمن يؤمن ويدعن  
ويرضى بأمر الله ، وكشفا عن يعاند ويشاقق وينافق .  
كان اختيارا نسبر به غور المؤمن وعمق إيمانه ونستشف به  
ضحالة يقين الجاحد وضالة معتقده . فكان عملا ايجابيا  
كاشفا يوضح لك الرؤية ويحدد الأبعاد . . يظهر لك من  
اتبعك وأقام على ملتك وسار في طريقك كما يظهر لك من  
انتكس ونكص على عقبيه ورجع الى ظلامه وأوهامه ، كما  
أظهر لك اليهود السفهاء على حقيقتهم . ولقد رأى اليهود  
في هذا التحول ضربة شديدة توجه الى مكانتهم الدينية  
ووسيلتهم الى الزهو على النبي صلى الله عليه وسلم  
والمسلمين فنشطوا - على ما تلهمه الآيات - الى الدس ،  
والججاج وتشكيك المسلمين ، فقالوا اذا كان سميت المسجد  
الأقصى غير حق فقد أضاع النبي عبادة الذين صلوا اليه ،  
واذا كان حقا فلا معنى للتحول عنه ، وتكون الصلاة الى  
الكعبة ضائعة ، وقالوا ان افعال النبي اذا كانت مستندة  
الى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالامس ، ولما قال

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٠٠

اليوم قولاً ثم نقضه في الغد لاسيما في الأمور  
التعبدية (١) .

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي  
كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهنى من يشاء الى  
صراط مستقيم (٢) » .

وكان لهذه المزايع والترهات التي اذاعها اليهود  
وادعاها أحبارهم كان لها بعض الأثر في نفسية بعض  
المسلمين . « ذهب حيى بن اخطب واصحابه من اليهود  
وقالوا للمسلمين : اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ،  
ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه ، وان كانت على ضلالة  
فقد دنتم الله بها مدة ، ومن مات عليها فقد مات على  
ضلالة !! »

فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به  
والضلالة فيما نهى عنه ، قالوا : فما شهادتكم على من  
مات منكم على قبلتنا ؟ وقد مات قبل ان تحول القبلة الى  
الكعبة : « اسعد بن زرارة » من بنى النجار ، و « البراء  
ابن معرور » من بنى سلمة ورجال آخرون ، فانطلق  
عشاثرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول  
الله قد صرفك الله الى ملة ابراهيم فكيف باخواننا الذين  
ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس ؟ فأنزل الله تعالى :

(١) ص ٨٠ من كتاب سيرة الرسول

(٢) آية ١٤٢ من سورة البقرة

« وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى صلاتكم الى بيت المقدس (١) .

عن تحويل القبلة . . وعن الكعبة ، وموقف اليهود ورسائسهم ، وعن أماني محمد ، تعرض هذا كله تلك الآيات من سورة البقرة : سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم ، ان الله بالناس لرؤوف رحيم ، قد نرى قلب وجهك فى السماء فلتولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون ، ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من المترئين ، ولكل

(٤) ص ١١٦ من تفسير الجمل ج ١

وجهة هو موليا فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم  
الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ، ومن حيث خرجت  
قول وجهك شطر المسجد الحرام ، وانه للحق من ربك وما  
الله بغافل عما تعملون ، ومن حيث خرجت قول وجهك  
شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره  
لئلا يكون للناس عليكم حجة ، الا الذين ظلموا منهم فلا  
تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتي عليكم ولعلكم  
تهلون (١) •

---

(١) الآيات من ١٤٢ الى ١٥٠ من سورة البقرة



## أوهام ومزاعم!

نظر اليهود الى أنفسهم ، والمجتمع الاسلامي وليد ، فوجدوا أنفسهم أكثر عددا وأوفر ثروة ، وأصحاب كتاب سماوى ، وعلى صلة بالانبياء وباخبار الأمم الغابرة لذا ظنوا أن يجعلهم النبى خارج نطاق دعوته ، معتبرين انفسهم اهدى من أن تشملهم ، وامنع من أن يامل النبى دخولهم فى دينه وانضوائهم تحت رايته ، بل لقد كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمام محمد اليهم ، ولاسيما حينما رأوه يصلى الى قبلتهم ، ويعلن ايمانه بأنبيائهم ، وكتبهم بلسان القرآن ، ويجعل ذلك جزءا لا يتجزأ من دعوته ، ويتلو فيما يتلوه :

« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »  
« ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه ، وجعلناه هدى لنبي اسرائيل ، وجعلنا منهم أئمة يهتدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون » « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله »  
« ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » « فخاب ظنهم ورأوه يدعوه فى جملة الناس ، بل يختصهم بلسان القرآن أحيانا بالدعوة ويندد بهم لعنم اسراعهم الى استجابتها ، ولموقفهم

منها موقف الانقباض ، ثم موقف التعطيل والتناقض :  
« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون  
الكتاب ، أفلا تعقلون » .

فكان هذا - على ما هو المتبادر باعثا على تنكرهم  
للدعوة وحقدهم عليها وعلى صاحبها منذ اللحظات الأولى  
من العهد المدني ، ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم ،  
ويتخذون النبي مرجعهم الأعلى ومرشدتهم الأعظم وقائدهم  
المطاع ، فاستشعروا الخطر العظيم يحلق بمراكزهم  
وامتيازاتهم ومصالحهم اذا هم أرادوا أن يستمسكوا بكيانهم  
الخاص ويظلوا على يهوديتهم ولا يندمجوا في الدعوة  
الاسلامية ، فكان هذا عاملا على اندفاعهم في خطة التنكر  
والحقد والتآمر والصد والتعطيل الى نهايتها » (١) .

« ومن العجيب المعجز أن يقرأ المرء اليوم آيات القرآن  
المدنية في أخلاق اليهود بوجه عام ، وعاداتهم ومكائدهم  
ودسائسهم وأنانيتهم وزهوهم وتبجحهم ، واستحلالهم لكل  
ما في ايدي الغير ، وضمنهم باى شيء مفيد للغير ، وعدم  
اخلاصهم في محبة أو موقف ولاء للغير ، وحسدكم لآى نعمة  
ينالها الغير ، وتدبيرهم لكل وسيلة مهما دنأت وفجرت وكان  
فيها كفر وفسق ونقضهم لمبادئ الدين والعهد في سبيل  
مكايدة الغير وتهديمه وسلب ما ناله من نعمة وخير ،  
وتشجيعهم لكل حائد وحاسد ومنافق ودساس ومتآمر ،  
ثم ينظر المرء اليهم اليوم فيكاد يرى اجمالا صورة طبق

(١) من ص ٥٢ ج ٢ من كتاب عزة دروزه « سيرة الرسول »

الأصل : جلبة خاصة وترفع عن الاندماج الصادق مع من يعيشون معهم من الأمم وأهل الأوطان ، ودس ومكر وكيد ، ووجود وججاج ولجاج ، وندب وعويل بدون مبرر ، وشره شديد الى ما في أيدي الغير ، ومحاولة للاستيلاء على الكل ، والتأثير في الكل ، واللعب في وقت واحد على كل جبل وفوق كل مسرح ، والتوسل بكل وسيلة الى الغاية التي يريدون ، وعداء لكل الناس وسخرية منهم وخداع لهم ، وتهديم لكل بنيان وكيان ونظام في كل مكان وزمان وتسخير لكل قوة في سبيل مآربهم وأنانيتهم وكيدهم وعدائهم ، وقسوة متناهية في اعدائهم حين يتمكنون منهم ، انهم ، لا يوجدون في أرض الا والعين مزورة عنهم ، والسخط فائر عليهم ، والنفوس متبرمة بهم ، والناس مستثقلون ظلهم ، راغبون في التخلص بأية وسيلة منهم ، وجاعلون الخذر منهم أساس صلاتهم بهم ، بسبب تلك الاخلاق المتوارثة فيهم جيلا عن جيل والتي يلمسها الناس فيهم بكل شناعتها وسوءاتها ، وليس هذا اليوم فحسب ، بل انه كذلك منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى امتداد القرون المتطاولة ومن قبل الناس جميعا ، بل من قبل عهد النبي على مادفتهم به أسفار العهد القديم وحوادث التاريخ ، مما لا يمكن تعليقه الا بتلك الجبلية الخاصة التي جلبت عليهم ما جلبت منذ أقدم الأزمنة الى الآن (١) .

(١) ص ٥٥ من المصدر السابق

ولم يكن اليهود وحدهم في الميدان العدائي لدعوة الاسلام ، بل ناصرهم كافرون ، وظاهرهم منافقون كانوا يظهرن الايمان ويبطنون الكفر فكانوا أشر على المسلمين من هؤلاء الذين جهروا بشركهم وكفرهم .

وكانت مواقف كيدية وتآمرية من الكفار ..  
والمنافيق واليهود ، يدبرها ويكشفها القرآن لمحمد ..  
« أنم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ، واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » .

آيات من سورة النساء تجلو صورة المنافقين وتظهر ملامحها ومنازعتها كما تكشف عن مزاعمهم وصددهم عن دعوة الحق ورغبتهم عن التقاضى لدى محمد ورغبتهم فى استفاضى لدى الطاغوت وهو زعيم من زعماء اليهود كان أعدى عدو لمحمد ولدعوة محمد ولأمة محمد .

ويقدم القرآن شريحة أخرى كاشفة توضح لمحمد مسلكا أنانيا ييغون بواسطته الحصول على ما ليس لهم بحق : « ومنهم من يلهزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم يستخطون (١) » .  
وعن دسائس المنافقين ومجالسهم الخفية ومينهم

---

(١) آية ٥٨ من سورة التوبة

وجنهم وتحييتهم الكاذبة وقناعهم الزائف الى كل ذلك  
توجه هذه الآيات من سورة المجادلة نظر محمد : « ألم تر  
الى الذين نهوا عن التجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ،  
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، واذا جاءوك  
حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا  
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (١) » .

ويدعو محمد أصحابه المسلمين كافة : فقراءهم  
وأغنياءهم الى أن يبذلوا ، ويعطوا ، ويتصدقوا كل قدر  
وسعه وعلى قدر طاقته ، ليسهموا فى صنع الخير ودعم  
السلام وحماية المجتمع ، ولبنى الصحابة النداء المحمدي ،  
فتصدق عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله كما تقدم  
« أبو عقيل » بمقدار ضئيل من التمر كان كل ما فى  
جيبته .

وهزت المنافقين تلك الاريحية الاسلامية فاطلقوا  
سهام الغمز المسمومة والشائعات الكواذب ، ليعكروا بها  
الصفو الاسلامي والموقف الانساني الناصع فأخذوا يلهزون  
المتبرعين من الأغنياء والمتطوعين من الفقراء ، فقالوا عن  
الأغنياء انهم انما يعطون رياء وعن الفقراء الذين بذلوا  
جهدهم ان ما أتوا به تافه لا قيمة له وان ما قدموه انما هو  
وسيلة لهم ، لأن ينالوا به بعد ذلك نصيبا أوفر من مال  
الصدقة .

---

(١) آية رقم ٨ من سورة المجادلة

كل هذه التخرصات تحكيها هذه الآية : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرؤن منهم سخر الله منهم ولهم عذاب آليم (١) » .

وللتليل من محمد وشخصيته قالوا عنه انه « أذن ، يسمع ما يقال له ويصدق كل ما ينقل له ، ويعرض الله على رسوله هذه القالة الكاذبة وتلك الفرية ويرشده الى دفعها والرد عليها : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب آليم (٢) » .

وعن استخفافهم بمجالس العلم التي كان يعقدها محمد يشرح فيها وحى ربه ، وعن انصرافهم عنها يقول القرآن لمحمد : في سورة محمد : « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم : ماذا قال آنفا ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (٣) » .

وكما حفل القرآن في مواضع عديدة بعرض ألوان من نفسية هؤلاء الفاسقين ومواقفهم ومزاعمهم وتبيين عاقبتهم ، كذلك حفل بعرض كثير من اتهامات الكافرين

---

(٢) آية ٦١ من سورة التوبة

(١) آية ٧٩ من سورة التوبة

(٣) آية ١٦ من سورة محمد

واقاويلهم ومسلكتهم ازاء دعوة محمد ووحى ربه ، فقالوا — ضمن ما قالوا — ان القرآن افك وان محمدا هو الذي افتراه ، كما قالوا ، انه اقاصيص اكتبها محمد وتلقاها عن توارثوها ويرد القرآن عليهم بأن القرآن آيات منزلة من الله على نبيه ، عن طريق الوحي ، لتهدى الناس الى طريق الخير والبر : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تلى عليه بكرة واصيلا ، قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيمًا (١) » .

كما افترضوا أن الرسول لابد وان يكون من طراز خاص ، ومن صنف غير صنف البشر ، ولا يأكل كما يأكلون ، ولا يمشى كما يمشون ؛ له قوة خارقة برفقته ملاك من السماء يؤيده ويعضده ، ويرد عليهم القرآن ويقرر لهم أن الرسل بشر ، لا يفترقون عن سائر الخلق الا بالعصمة والوحى ، « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ، انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (٢) » ويقول القرآن : « وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلوا الطعام

(١) آيات ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة الفرقان

(٢) آيات ٧ ، ٨ ، ٩ من سورة الفرقان





ومن وراء ذلك كله اصرار على الشرك ، وإقامة على الكفر : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا(١) » « بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتلون(٢) » •

مفتريات ومزاعم وأقاويل ردها الكفار في أكثر من موطن ، ورد عليها القرآن في أكثر من موضع ، وأفضى بها الوحي الى من نزل عليه الوحي ، ليطمئن •• وليثبت هو وصحبه ، حتى يصقلوا عقيدة الأناسى وحتى يصلوا بالبشرية الى الهدف •

---

(١) من آية ٢١ من سورة لقمان

(٢) من آية ٢٣ من سورة الزخرف

## فرار إلى الله

العناية الربانية بالنبي محمد .. ورباطة جأش محمد  
يتمثلان في حادث من أروع حوادث السيرة الشريفة هو  
حادث الهجرة النبوية .

فالهجرة كانت المشعل الذي نقل الضياء من مكة الى  
«يثرب» ثم الى العالم أجمع ونقل العقيدة الوليدة من أرض  
صلبة حرون وأجواء مشحونة بالشرك والعنف الى أرض  
مثمرة وأجواء صالحة حية والهجرة - بعد ذلك - رمز  
هادف يأخذ بيد ذوى الرسالات وأصحاب المبادئ لينتقلوا  
عند اقتضاء الامر من أرض رخوة تكاد تميد تحت أقدامهم  
فتحيط بهم وتطيح بمبادئهم الى أرض أخرى جديدة بكر  
تقبل تربتها بنور تلك الرسالات وأصول تلك المبادئ  
فتضرب في أعماق أرضها ، وسرعان ما تثمر ثمرا تمتد الى  
جناه أيدي المستفيدين ، ويفي الى ظلاله عديد من معتنقي  
تلك المبادئ والقيم .

ورأى صلوات الله عليه موجات الأذى تتدافع قوية  
عارمة من حوله .. وسمع صيحات الاستنكار تدوى ..  
وكان المؤمنون ممن اتبعوه وقتئذ قلة مستضعفين، والعقيدة  
ودیعة بين يديه عليه صيانتها وحمايتها ونشرها ورأى زعماء  
مكة ووجهاءها يلجئون الى شريعة الغاب ولغة العنف  
والاضطهاد ليحافظوا على مكانتهم ومكاسبهم وحاولوا

جاهدين ألا تتسرب أشعة الضياء الى خارج حدود مكة ٠٠  
وتأمروا في مكة واجتمعوا في « دار الندوة » يحسبون  
مؤامراتهم ويحبكون أطرافها ويخططون لها ، وخلصوا في  
النهاية الى أن يطعنوا الدعوة في الصميم بطعن الداعي لعل  
في القضاء على حياته قضاء على حياتها ، واتفقوا على أن  
يجتمع لفيف من شباب القبائل يتسلح ثم يتوجه في مسيرة  
واحدة للاجهاز على محمد وبهذا الاغتيال الجماعي يتفرق  
دمه بين القبائل فلا يطالب أحد من أعوانه بثأر ولا يقدر  
قومه على الوقوف في وجه بقية القبائل « واذا يهكر بك  
الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون  
ويمكر الله والله خير الماكرين » (١)

وفي لحظات عقب انتهاء هذا الاجتماع تم اعداد الحطة  
للتنفيذ فاختر الشباب ، وتم تسليحهم ٠٠ وتوجهوا على  
قلب رجل واحد في نفس تلك الأمسية الى بيت محمد ،  
وانظروا ٠٠ ومضى الهزيع الاول من الليل والمؤتمرون  
يحاصرون بيت النبي ويطوقونه ، حتى يحولوا بين محمد  
والهرب ٠٠ وكانت آونة التنفيذ أو ساعة الصفر - كما  
يقولون - كانت عند اشراق الفجر .

وبدأت الظلمة تحتضر ، والفجر يولد ، وبدعوا في  
التنفيذ ٠٠ ولكن أنى لهم والله فوق تدبيرهم ومكرهم :  
« أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم

(١) آية ٣٠ من سورة الأنفال

مقبحون ، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا  
فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) •

أغشاهم الله وأعمى أبصارهم وغطى على نواظرهم ،  
فعمدت أبقانهم سنة من النوم ، فخرج رسول الله من  
بيته وكله ثقة في الله .. وأخذ الرسول حفنة من تراب  
نثرها على رؤوس المؤتمرين النائمين وأخذ طريقه مهاجرا  
بدينه ، وعقيدته ، يوحى ربه الى « يثرب » مع صديقه أبى  
بكر وأسقط في أيديهم عندما تنفس الصبح ولفظت  
المضاجع ساكنيها •

وفى سرعة سريعة اندفعوا نحو الباب شاهرين  
سيوفهم فى وجه النائم الذى استوى قائما :

فأوا فيه « على ابن أبى طالب » فتراجعت سيوفهم  
تم نكست فى أسى واسف وحزن وضيق وخزى سجله الله  
عليهم الى يوم الدين ..

وهاجر محمد .. وهجر مكة وراءه وهو يعلم أن  
كفارها سيطلبونه وسيطاردونه ، فهم لا يريدون حياته ولا  
حياة دعوته فى يثرب ، لذا سلك طريقا غير الطريق  
المألوف •

قال ابن اسحق : لما أزمع رسول الله ، صلى الله  
عليه وسلم ، الخروج اتى ابا بكر بن قحافة فخرجا من  
خوخة لابی بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بجبل ثور

---

(١) من سورة يس

فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة - مولاة - أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما يأتيهما إذا أمسى في الغار .

وفي كتاب الدر المنثور : « أن محمدا - عليه السلام - مشى ليلة على أطراف أصابعه لثلا يظهر رجله على الأرض حتى حفيت قدماه ، وأنه لم يصب الغار حتى تقطرت قدماه دما ، كذلك روى أن أبا بكر رضى الله عنه ، كان - وهما في طريقهما إلى الغار - يمشى مرة خلف النبي ومرة بين يديه ، وسأله النبي عن سبب ذلك ، فقال : يا رسول الله ، أذكر الطلب فأمشى خلفك ، وأذكر الرصد فأمشى بين يديك .

ومكث الرسول وصاحبه في الغار أياما ثلاثة ، يقول ابن اسحق : « وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش نهاره معهم ، يسمع ما يأمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة - مولى أبي بكر - يرعى نهاره في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه . . حتى إذا مضت الثلاث وسكن الناس عنهما اتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببيعيريهما وبعير له ، »

رحلة مضنية ومرحلة عصيبة ، بدا خلالها الايمان الكامل وما يشحن به نفس المؤمن من أمن واطمئنان بالله ويقين بنصره ، فلم يكن بدعا ان ظهرت عظمة الرسول في تلك الرحلة وبانت قوة ايمانه ورباطة جنانه .. روى ان القرشيين لما وصلوا الى الغار وسمع أبو بكر وقع أقدامهم ازاءه اشتد خوفه على حياة الرسول وقال : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر الى موضع قدميه لأبصرنا ! ! فهذا رسول الله من روع أبي بكر وقال له : « لا تحزن ان الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

عن ذلك يقول القرآن : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجهم الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايداه بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » .

## لا ..

التربية : أوامر ونواه ، منح ومنع ، ارشاد وتوجيه ،  
حقوق وواجبات •

فلا غرو أن تضمنت التربية الالهية للنبي محمد أوامر  
تحميه ونواهي تقيه ، وارشادات تأخذ بيده ، وتوجيهات  
تجنبه عثرات وتبعد عنه قلاقل •

وسنعرض هنا قطاعات وشرائح قرآنية تتضمن  
الوانا من تلك التربية الالهية والعناية الربانية التي كشفت  
لمحمد عن حقائق ، ونفسيات ، وسلوك ، وتجارب ؛  
ومزاعم :

كان هناك فريق من كفار مكة ، سلميون ، يحاولون  
عن طريق المفاوضات والأخذ والرد وتبادل الرأي أن  
يصلوا •• الى حل أى حل ، يمنع اراقة الدماء وينشر  
الوية السلام على الجميع •

وتقدم هؤلاء الى محمد يعرضون حلا ، فقالوا له :  
انك تعبد الهك وتعظمه ، ونحن نعبد آلهتنا ونعظمها ،  
فماذا علينا اذا ما تبادلنا العبادة : أنت تصلي يا محمد  
لآلهتنا وتكرمها ، ونحن نسجد لآلهك ونعظمه •

ونزل قول الرب وتوجيه الاله « قل يا ايها الكافرون ،  
لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد  
ما عبدتم » ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ لكم دينكم ولى دين »

وكان محمد يتوسم في هؤلاء السلميين الاستجابة له ، ولو بعد حين ، وكان يطمح في أن يؤمنوا يوما ما ، وهم لكي يبقوا على العلاقات فيما بينهم وبينه تقدموا أكثر من مرة بمقترحات يعرضونها على محمد ، ويمهلونه يفكر . . . ويقدر ، اقترحوا أن يسكت عن شتم آلهتهم ، ويسكتوا هم عن ترديد ما يردده المشركون عن اله محمد !! كما اقترحوا أن يعظموا الهه فترات كل عام في نظير أن يلم هو بآلهتهم ( أصنامهم ) ويلمسها كما يفعل بالحجر الأسود .

وحتى لا تتعدى الاقتراحات مرحلة الخاطر والفكر الى مرحلة التنفيذ والفعل . . . وحتى لا يميل النبي أو يجنح الى شيء من التساهل ومسايرتهم حرصا على هدايتهم من أجل ذلك عصم الله رسوله وصانه وحماه ، ونهاه عن الاصاخة لتلك العروض وهاتيك المقترحات « وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ، وإذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ، اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (١) .

يدل على هذه الحماية الالهية التعبير القرآني بـ « كادوا » و « كدت » فلم يقع من النبي عمل أو فعل ولم يخط خطي ايجابية نحو التنفيذ وجملة « لقد كدت تركن

(١) من آية ٧٣ الى ٧٥ من سورة الاسراء



اليهم شيئا قليلا » بنوع خاص تدل بقوة وصراحة على ان ما خطر بباله من الجنوح للتساهل قد كان شيئا غير مهم ، مما يصح أن يوصف بأنه انما كان اجتهادا فيه خلاف الاولى الذى فى علم الله وحسب « (١)

وتلا عليهم الرسول آيات من وحي ربه فاقترحوا عليه أن يبدل هذا القرآن وأن يأتى بقرآن آخر لا يحتوى على تسفيه عقولهم وتسخيف عقائدهم ولا يهددهم ولا يندد بهم ، وينزل قول الله « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله ، قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى ، انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله مالتوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون (٢) »

الغافلون عن الله وعن ذكره ، والجاحدون الآثمون .. والكافرون بالالوهية والرسالة والمنافقون المراؤون كل أولئك لا تطعمهم يا محمد :  
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرضا » (٣)

« فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » (٤)

---

(١) ص ١٩٦ من كتاب سيرة الرسول (٢) من سورة يونس آية ١٥  
(٣) آية ٢٨ من سورة الكهف (٤) آية ٥٢ من سورة الفرقان

«ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله» (١)  
 «فلا تطع المكذبين ودعوا لو تدهن فيدهنون» (٢) «ولا تطع  
 كل حلاف مهين» (٣) • «فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم  
 آثما أو كفورا» (٤) •

وينزل قول الله لمحمد : « واصبر نفسك مع الذين  
 يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » ، ولا تعد عيناك  
 عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن  
 ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم  
 فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا  
 أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى  
 الوجوه بئس الشراب وساء مرتفقا ، ان الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا » (٥) •

والآيات هذه تأمر النبي بالصبر على صحبة المسلمين  
 وبعدم الانصراف عنهم للاهتمام بأصحاب الجاه والمال ،  
 وتنهاه عن الإستماع للغافلين واللاهين والمنحرفين كما  
 ألهمته أن يشهر في وجوههم ووجوه الجميع أن الحق  
 الالهى واضح جلى ، فمن شاء الخير لنفسه اذعن وآمن ومن  
 شاء الشر لنفسه جحد وكفر ، وللكافرين نار وسعير  
 وعذاب ، وللمؤمنين أجر ومغفرة وثواب •

---

(١) آية ٤٨ من سورة الأحزاب (٢) آية ٨ ، ٩ من سورة القلم  
 (٣) آية ١٠ من سورة القلم (٤) آية ٢٤ من سورة الانسان  
 (٥) آيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ من سورة الكهف

## في بيت النبي

« يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك : وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما » ، ترجى من تشاء منهم وتوئى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما » لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا» (١) .

هذه صورة قرآنية مما يحفل به القرآن الكريم من صور عديدة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم في منزله ، ولحياته مع زوجاته . . والحديث عن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ منه بعض المفرضين والمستشرقين مادة

(١) من سورة الاحزاب ٥٠ - ٥٢

للتشهير : وقالوا « ان محمدا قد سن لنفسه قانونا ينقض القانون الذى سنه الله لسائر المسلمين ، كما تناولوا عليه بسبب عدد النساء اللاتي تزوج بهن أو جمعهن فى عصمته ، ولقد رد كتاب المسلمين على هذا وذاك ردودا متنوعة وجيهة ، منها : أن النبى صلى الله عليه وسلم فى تعدد زوجاته لم يكن شاذا عن بيئته أو عن الطبيعة البشرية ، وأن لجل زيجاته ظروفًا غير دواعى الرغبة الجنسية ، اذ توخى فى بعضها تكريم صاحبيه : أبى بكر وعمر ، بابنتيهما عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، وفى بعضها توثيق الرابطة بين الاسلام وبعض القبائل ، كزيجته بجويريه ابنة رئيس بنى المصطلق ، وفى بعضها تكريم الزوجات المهاجرات اللاتي فقدن أزواجهن فى هجرة الحبشة وجبر نفوسهن كزواجه من «أم حبيب بنت ابى سفيان» وأم سلمة و «سودة» و «زينب» بنت خزيمة ، رضى الله عنهن ، لا سيما أن نصف زوجاته كن من المتقدمات فى السن وأولات أولاد ممن تقل الرغبة الجنسية عادة فيهن ، وجوهر ومدى الردود صحيحان كل الصحة ، لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يرى انه فى حاجة الى تشريع خاص به مناقض للقانون العام ، لولا ان هناك ظروفًا قاهرة ، وكان بإمكانه أن يستغنى عن المتقدمات فى السن ، وذوات البنين ، وغير الجميلات ، لو كانت دواعى المسألة هى الرغبة الجنسية فحسب » (١) .

(١) ص ٧٣ من كتاب سيرة الرسول للاستاذ عزه دروزه

## مساكن النبي :

كان بيت النبي صلى الله عليه وسلم ملاصقا للمسجد ، لا يفصلهما الا طريق عرضه قرابة خمسة أذرع ٠٠

وكان البيت مكونا من حجرات ، لكل زوجة من زوجاته حجرة ٠٠ وكلما اتخذ زوجة بنى لها حجرة حتى صارت حجرات البيت تسعا ٠٠

وكان المسجد مقصد العباد والمتحنثين والمنقطعين للذكر وللتهجدة ٠٠ كما كان مقصد المسلمين جميعا ٠٠

وكان الرسول يخرج من منزله أحيانا فيدعو من كان بالمسجد الى الطعام فى بيته ، وغدا بيت الرسول مثابة للقصاد انذين ييغون الهدى والموعظة ، والفتيا ، والتقاضى .

ودفعهم السلوك الاجتماعى العربى المتعارف عليه آنذاك أن يقصد أصحاب الرسول الى بيوتهم باذن وبلا اذن وبدعوة منه أو بدونها ، وكانت مندوحتهم فى ذلك انهم يقصدون بيت زعيمهم الروحى وهاديهم ومرشدهم وواعظهم ومعلمهم وقاضيههم ومفتيهم ، فلا غرابة عليهم فى أن يدخلوا فى أى آن وأن يقضوا بعض الوقت فى حديث وسمير ، وأن ينتظروا نضج الطعام اذا كان الوقت وقت طعام .

وكان ذلك يؤذى النبى ، وينال من نفسيته ، فما جعلت البيوت لمثل ذلك وخاصة اذا كان المسجد ملاصقا لها واذا كان الرسول بين ظهرائهم فى المسجد والمجتمع ،

يستطيعون لقاءه في سهولة ويسر ، وكان ذلك يؤذى زوجات الرسول ويحول بينهن وبين أخذ حريتهن كاملة في بيوتهن .

فنزل في ذلك قول من الله يرشد المسلمين الى السلوك الاجتماعي المثالي ، يهذب به الطباع الحسنة الجافة ، ويهدي الى المسلك الذوقي الواجب أن يكون بالنسبة الى الرسول . والى المجتمع الانساني الاسلامي :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرٍ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلْقِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُولِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجَّاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا » (١) .

### حول بيت النبي :

في جفوة عربية لم تهذبها العقيدة ، ولم يشذبها التدين ، ولم يطامن حدتها التقويم الديني . وفي سلوك بدوي بدائي . وفي وقت القيلولة وانفاس الظهيرة حارة لافحة يذهب وفد من اعراب البادية الى مسجد الرسول

---

(١) آية ٥٣ من سورة الاحزاب

للقاء الرسول ٠٠ ولما لم يجدوه فى المسجد أخذوا ينادونه  
من وراء حجرات نساءه الملحقة بالمسجد ويصيحون فى  
غلظة : يا محمد ٠٠ يا محمد ٠٠ اخرج الينا ٠٠!! واستيقظ  
الرسول من قبلوته !!

وهؤلاء الاعراب لا يراعون فى سلوكهم مناسبات أو  
ملابسات ولا يسيرون وفق طقوس معينة أو تقاليد خاصة ،  
بل يندفعون حسب طبيعتهم وبينتهم .

وينزل وحى الله على رسول الله يؤدب ويهذب  
ويرشد هؤلاء الى السلوك المثالى والى آداب وتعاليم واخلاق  
هذبت الطباع وميزت السلوك ووجهت الاخلاق ورققت  
الجفوة والانت الغلظة . وربى القرآن ايمانهم ، ومع التربية  
الايمانية ربى اخلاقهم وفق تعاليم الهية وسنن وضوابط  
شرعها للسلوك الانسانى عامة :

« ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم  
لا يعقلون ، ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا  
لهم ، والله غفور رحيم» (١)

---

(١) آية ٥ من سورة الحجرات

## محرّر العبيد

نزل تشريع الله • وفى المجتمع العربى اذ ذاك  
رواسب من تقاليد وعادات استقرت وتأصلت فى الاعماق •  
كانت هناك الطبقية ، بما تحمله من عنجهية وتكبر  
واستعلاء ، طبقة السادة الاشراف وطبقة الموالى العبيد ،  
الأولى غانمة والأخرى غارمة •• الأولى منيعة محصنة ،  
والثانية مضیعة مهددة : مهددة الحق والكرامة والواجب  
ونزل تشريع الله يحمل دعوة الحرية والاخوة والمساواة  
والعدالة وتكريم الاناسى والانتصار للأدمية •• ودوت بين  
أرجاء ذلك المجتمع الطبقي كلمات الله : •• «ان أكرمكم  
عند الله اتقاكم» • ولقد كرّمنا «بنى آدم» ودوت صیحات  
الرسول : «لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى» و «الناس  
سواسية كأسنان المشط» وقوله لأعرابى ارتعد عندما رآه :  
« هون عليك فانما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل  
القديد » والمأثور عن عمر من قوله الخالدة «متى استعبدتم  
الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » •

وأراد محمد أن تزول هذه العصبیات ، وأن يقرب بين  
هاتيك الفوارق التى شطرت المجتمع العربى آنذاك الى  
طبقات من سادة أحرار وامااء عبيد ، وأن يضع لبنات بناء  
المجتمع الحر الجديد فى تلك الأرض التى لفحتها انواء من



تفرقة وتعصب وتقاليد فعزت على الإصلاح وعلى أن تسود فيها قيم من مساواة وعدالة وإخاء . أراد محمد أن يطبق مفهوم الحرية الإسلامية على نطاق أشمل وأوسع فبدأ بتطبيقها بنفسه وعلى نفسه وعلى أهل بيته وأقرب الناس إليه ، فأعتق مولاة «زيد بن حارثة» . وبعد أن وهب له الحرية والكرامة تبناه ، ثم اختار له زوجة ، اختار له « زينب بنت جحش » ولم تكن دميمة أو عجوزا ، حتى تجد فيمن قدم لها عوضا عما فاتها من جمال أو شباب ، بل كانت شابة جميلة . وكانت فوق ذلك من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كانت ابنة عمته « أميمة بنت عبد المطلب »

وقد تفتحت العيون دهشا لموقف الرسول الانساني .

وعارض أهلوها الزواج ، فكيف تربط المرأة الحرة حياتها بعد محرر ، ورأوا من العار ، وهم الذين كانوا يفخرون بالأنساب والبيوتات ، بل ويتعصبون لها في حمية وقوة ، رأوا ألا يتم ذلك الارتباط ، فكيف يرقى العبد المعتق الى مرتبة الحر الشريف ؟!

ولكن أراد الله أن يتم عندما نزل قوله تعالى «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللا مبينا» (١)

---

(١) آية ٣٦ من سورة الاحزاب

# عتاب

العتاب لغة رقيقة يتحدث بها المجنون ، ونمط من القول يحفظ المودة ويبقى على الأخوة : « ويبقى الود مابقي العتاب » .

وقد يقسو العتب ، وقد يحمل طابع التهديد فيتخطى مرحلة العتاب .. الى العقاب ، هذا في دنيا العلاقات الانسانية . وهناك عتب الهى .. عتب موجه من الله لمن اصطفاه تفصح عنه هذه الآيات : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدرىك لعله يزكى » او يذكر فتتفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فانت له تصلى ؛ وما عليك الا يزكى ؛ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى .. كلا .. »

ولهذا العتب الالهى مفرى كبير ، ودلالة البعيدة العميقة ، فهنا ونحن في عصر « اتساع الأفق » والتحرر الذهني مانزال نجد نغمة تردد .. يرددها الكاشحون ، ومبغضو الدين ، وبعض المستشرقين ومن افتتن بهم .. يرددونها وهم في ذلك عالة على أعداء الدين القدامى المعاصرين للرسول الذين رددوها من قبل ، فزعموا أن محمدا مفتر مدع قد تقول هذا القرآن من عنده !! .

ويشاء العتب الالهى أن يقطع على هؤلاء مفترياتهم وأن

يلجهم ويلزمهم الحجة ، فلو كان القرآن من عند محمد  
- كما يزعم المفترون - لما ارتضى محمد أن يثبت العتاب على  
نفسه أو أن يوجه إليه . ولما قرأنا في القرآن قوله تعالى :  
« عيسى وتولى » الى آخر هذه الآيات التي سجلت عتب  
الاله على رسوله الكريم عندما أقبل على الرسول جمع من  
عظماء قريش وزعمائها يناقشونه في الاسلام ، فتشاغل  
الرسول بهم طمعا في اسلامهم . وما لبث أن قطع حديثهم  
صياح صحابى كفيف اسمه « عبد الله بن أم مكتوم » لم  
ير تشاغل الرسول - صلوات الله عليه - واهتمامه بمن  
عنده فظل ينادى ويقول : يا محمد ، جئت اليك لتعلمنى  
مما علمك الله ، فكره الرسول منه هذه المقاطعة وظهرت  
دلائل الغضب على وجهه الكريم فنزلت آية العتاب السابقة  
الدالة على صدق القرآن وصدق من نزل عليه القرآن، يقول  
الدكتور أحمد بدوى فى كتابه من بلاغة القرآن (ص ٣٦٣)  
« بدأ هذا العتاب متحدثا عن الغائب ، وكأنه بذلك يريد  
أن يرسم الصورة لرسوله على لوحة يراها أمام عينيه على  
وجه غير وجهه ، لتكون الصورة واضحة القسّمات بينة  
المعالم ، فالمرء لا يرى وجه نفسه ، ثم اتجه العتاب الى الخطاب  
فى رفق قريب من العنف ، مبينا مالهله يرجى من الخير  
من هذا الأعمى السائل ، ثم عقد موازنة بين من عنى به  
النبي ومن أعرض عنه ، فهذا مستغن لا يعنيه أن يصغى الى  
الدعوة أو يطيعها ، والآخر مقبل تملأ قلبه الخشية ويدفعه  
الايمان . وقد سجل القرآن معاملة الرسول لهما . ولكن

هذا العتاب يحمل في ثناياه عذر الرسول ، فهو ما تصدى  
لمن استغنى ألا أملا في هدايته وارشاده .

وقد يقسو القرآن في العتاب ، بعد أن يكون قد  
استخدم الرفق واللين وذلك في الأمور التي يترتب على  
التهاون فيها ما يودي بالدعوة ، ومن العتاب القاسي ، لأنه  
يمس أساسا من أسس نشر الدعوة لتأخذ طريقها الى النصر  
والنجاح قوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى  
يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة  
والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما  
أفضتم فيه عذاب عظيم » أما إذا لم يتصل العتاب بمثل ذلك  
من مهمات الأمور فإن العتاب يرق ويلين كما في قوله  
تعالى : « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين  
صدقوا وتعلم الكاذبين » وقوله « يا أيها النبي لم تحرم  
ما أحل الله لك » فمعرفة الصادق من الكاذب إذا كانت قد  
ضاعت في فرصة فمن الممكن أن يتوصل اليها في فرصة  
أخرى وتحريم النبي لما أحل الله له مسألة شخصية ليس  
لها من الأثر مثل ما للجهد من آثار .

ومن العتاب الالهي قول الله : « عفا الله عنك لم اذنت  
لهم » وقد جاء هذا العتاب في الآيات التي تقول : « انفروا  
خفافا وثقالا » وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ،  
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا  
قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله

لو استطعنا خرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم  
لكاذبون ، عفا الله عنك لم أذن لك حتى يتبين لك الذين  
صدقوا وتعلم الكاذبين ، لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله  
واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم  
بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنسون بالله واليوم  
الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون « ولو أرادوا  
الخروج لأعدوا ته عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبثهم وقيل  
أقعدوا مع القاعدين ، لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا  
ولأوضعوا خلالكم يغفونكم الفتنه ، وفيكم سماعون لهم والله  
عليم بالظالمين » (١) •

في صدر هذه الآيات دعوة للنفير الاسلامي وللجهاد  
في سبيل تثبيت دعائم الدعوة • • ويصدر البيان الحربى  
الالهى بالنفرة والجهاد « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا  
بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » •

وعندما يدوى نفير النفرة ، آتئذ تظهر النفوس على  
حقيقتها : فيسرع المؤمن ويتقاعس من فى قلبه دخن أو دخل  
أو رياء ، وأسقط فى أيدي المنافقين ، ودارت أعينهم دهشة  
وزمعا ، وأنى لهم أن يستجيبوا ؟ ! انهم ييخثون عن مبرر  
يتمسحون وراءه : ليقوا ويقعدوا ، لو كانت الثمرة سهلة  
هينة لسارعوا الى التقاطها ولكن دونها أهوال وتضحيات ،  
لو كان سفرا قاصدا قريبا فيه شيء من القسوة وشيء من

---

(١) الآيات من ٤١ - ٤٧ من سورة التوبة

التعب لسافروا ولقاموا به ، ولكن الأمر جد مختلف ، انه  
جهاد وجلاد وحرب وطعان وتقديم أرواح وتضحيات لا قبل  
للمنافق بها .

ونادى الرسول ، وهو يعد العدة لغزوة تبوك : حي  
على الجهاد . . . وتقديم المسلمون يلبسون الدعوة . . . وفي  
زمرتهم ، تقدم المنافقون ، وهم كعادتهم ، يظهرون الطاعة  
والامثال لأمر الله ويحبذون في حماسة الجهاد والنضال ،  
الا أنهم في شيء من الحجب ، وفي كثير من التظاهر والتصنع  
يعتدرون ويعلمون لعدم الاسهام والخوض في هذه المعركة  
لاعتبارات أكدوها بالحلف والقسم واليمين الكاذبة . . . ولم  
يسع الرسول البشر الانسان الا أن يأذن لهم في التخلف .

وينزل الوحي على الرسول ، يقول : « عفا الله عنك »  
وتشرئب النفس وتنتظر ويصيح السمع ، ويتوجه الانسان  
بكلية كله سمع مرهف الى ما بعد هذا العفو الالهى « لم  
أذنت لهم » عتاب من الله لرسوله على اذنه لهم قبل التثبت  
من أعذارهم ، عتاب لا يخلو من لطف المحب بحبيبه عندما  
قدم العفو قبل العتب في شأن هؤلاء المنافقين الذين فضحهم  
الله وكشف موقفهم لنبيه وللمؤمنين وبين أن من سماتهم  
وصفاتهم أنهم « لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون  
الا وهم كارهون » « ويخلقون بالله انهم لمنكم ، وما هم  
منكم ، ولكنهم قوم يفرقون » .

## جهاد .. وفتح

الاسلام دين الرحمة والسلام ، دين السماحة والحرية ، لا قسر ، ولا جبر ، ولا عنف « لا اكراه في الدين » كفل لكل حرية اختيار عقيدته « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » اذ العقيدة لا تترسب في الأعماق الا عن طواعية أو رغبة أو اقتناع ، كل يتنفس الجو العقيدى حسب مشيئته واختياره .

ومهمة الداعية ان يدعو وينصح بطريق سلمى : طريق الحكمة والموعظة الحسنة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتى هي أحسن » .

ووضع الاسلام لرسوله مخططة ومنهجه في الدعوة الذى لا يتعدى الانذار والتبشير والبلاغ : « ان عليك الا البلاغ » « ان أنت الا نذير » « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (١) « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به

---

(١) آية ٢٠ من سورة آل عمران

شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان  
تولوا فقولوا اشتهلوا بأنا مسلمون (١) » •

ثم سارت الدعوة الاسلامية فى طريقها حاملة لواء  
السماحة والسلام وجولها اذ ذاك أعداء من كل جهة ، عدو  
خفى يبطن خلاف ما يظهر ، يتزىي بزى الاسلام ظاهريا ،  
الا انه يبطن الكفر والاشراك ، يفعل كما يفعل المسلمون ،  
وهو معهم ، يؤدى شعائرتهم ويشاركهم مناسكهم اذا نودى  
للمصلاة كان أسرع المصلين الى تأديتها ، واذا ما هل هلال  
رمضان أظهر انه أول الضائمين « واذا تقوا الذين آمنوا  
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما  
نحن مستهزئون » (٢) « ومن الناس من يعجبك قوله فى  
الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو لئد الخصام ،  
واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث  
والنسل والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله  
أخذته العزة بالآثم » (٣) « ان المنافقين يخادعون الله وهو  
خادعهم » (٤) •

وبجانب هؤلاء اليهود الذين ناووا دعوة محمد منذ  
أول آونة لها ، وحاربوا المسلمين بتأمرهم مع المشركين

(١) آية ٦٤ من سورة آل عمران

(٢) آية ١٤ من سورة البقرة

(٣) آية ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ من سورة البقرة

(٤) آية ١٤٢ من سورة النساء



والمنافقين وتحديهم وحجاجهم • وبث بنور الشقاق والتفرقة وإيقاد نار التعصب ، ثم فى النهاية تطاولوا على الله !! « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بئ يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيد كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين » (١) •

وهؤلاء وأولئك ومعهم المشركون الكل يتكتل ويتجمع ويحيك ويدبر •• الكل يريد أن يمسى ثم يصبح فلا يرى لتلك الدعوة تابعا أو داعيا •

وتآزر المنافقون مع اليهود : « ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون » (٢) •

وصيانة للدعوة المحمدية وحماية لها أذن الله للمسلمين فى الجهاد والقتال « ولنذكر (٣) مراحل الدعوة المحمدية من مبدئها الى أن أذن الله بالحرب للمسلمين : بدأت الدعوة سرا ، فأمن نفر قليل كانت تجمعهم والنبي صلى الله عليه وسلم وشائج الرحم ، أو الصداقة ، ثم أخذت

(١) آية ٦٤ من سورة المائدة

(٢) آية ١١ من سورة الحشر

(٣) صفحة ٥٣٦ من تفسير الشيخ شلتوت

طور الجهر ، فوجهت الى العشيرة الأقربين ، ثم الى الناس  
 أجمعين . . ورآها المشركون تسرى ويكثر معتنقوها فلم  
 يطيقوا عليها صبورا ، فبدءوا بمساومة الرسول واغرائه  
 على ترك دعوته بما يطلب من مال أو جاه أو ملك فكانت  
 كلمته المأثورة : « والله لو وضعوا الشمس في يميني  
 والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى  
 يظهره الله أو أهلك دونه » فاتجهوا الى العنف والاضطهاد ،  
 وقد دون التاريخ من حوادث التعذيب للمسلمين الأولين  
 ما تقشعر لهوله الجلود ، وما دفع المسلمين الى أن يفكروا  
 في الخلاص بدينهم ووقاية أنفسهم ودعوتهم ، فهاجروا الى  
 الحبشة مرة ومرة ، والتجئوا الى الطائف ، فلم تنفعهم  
 الهجرة ولم ينقذهم الالتجاء ، واشتد ضغط الكفار عليهم  
 في الايذاء حتى ائتمروا أخيرا بالنبى صلى الله عليه وسلم  
 وقرروا فيما بينهم قتله ، فكانت الهجرة الى المدينة ،  
 وبالهجرة أخذت الدعوة تسرى بما تحوى في طبيعتها من  
 جلال وجمال حتى كونت لنفسها أنصارا من شباب يثرب  
 عاهدوا الرسول على الموت في سبيل نشرها وحمايتها .  
 وهنا سقط في أيدي المشركين واشتد عليهم حقنهم على  
 المسلمين وأخذوا يتحينون الفرص للكيد للمهاجرين  
 واخوانهم في المدينة ويصبون العذاب من جهة أخرى على  
 المؤمنين المستضعفين الذين لم يجدوا سبيلا الى الهجرة من  
 مكة .

هذه مراحل الدعوة ، وهذه مواقف المشركين من

محمد وصحبه ، ولو انهم تركوه يقوم بدعوته فيؤمن بها  
 من يؤمن ويصدق عنها من يصدق ، ولم يعنفوا عليه وعلى  
 متبعيه ، ولم يضيقوا عليهم حتى يخرجوهم من ديارهم ،  
 ويحرموهم من أوطانهم التي شبوا بها وترعرعوا - وحب  
 الأوطان لاصق بالنفوس - ولو لم يحولوا بينهم وبين  
 بيت الله الحرام الذي كان محل تقديس عام من العرب  
 وتقديس خاص من المؤمنين ، لو انهم تركوا المسلمين  
 وضأنهم هكذا لما أريقت قطرة من دم ، ولا انتشرت دعوة  
 الاسلام بما تحمل في طبيعتها من قوة ووضوح وجلال ،  
 وبما تجد من اقبال الطبائع المستقيمة عليها ، ولو أن محمدا  
 صلى الله عليه وسلم قبع بعد الهجرة في المدينة والأنباء  
 تأتيه بما يدبر له القوم وبما يتربصون به وبأصحابه من  
 الاغارة عليهم في المدينة ، ومحاولة أن يطاردوهم منها كما  
 طاردوهم من مكة ، لو أنه صلى الله عليه وسلم قبع في  
 المدينة ولم تبد منه امارات القوة والحيلة والحذر والتهيؤ  
 لرد العدوان لما استقامت له دعوة ، ولفاجئوه في عقر  
 داره . لم يكن لمحمد عليه السلام والمؤمنين معه بد من أن  
 يقدروا هذه الظروف كلها ، وأن يذكروا المستضعفين في  
 مكة ، وأن يذكروا أوطانهم وأموالهم ، وأن يذكروا أن  
 دعوتهم ، وهي دعوة الحق - يجب أن تنشر ، وأن يعودوا  
 بها الى مكة وأن يطهروا بيت الله من الأصنام والوثان  
 وأن يفسحوا المجال أمام الدعوة حتى تسرى وتعم كما  
 أمر الله ، \*

## الاذن بالقتال :

قدر محمد كل هذه الظروف وتكاملت أسباب الحيلة والحدز فأذن الله لهم في الحرب، وجاء الاذن لها في آية تحمل أسبابها ، اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره - ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

جاء الاذن في هذه الآية الكريمة بالقتال ولم تعله بنشر الاسلام أو الجاء الناس اليه ، وانما عللته بما وقع على المسلمين من ظلم وما أكرهوا عليه من الهجرة والخروج من ديارهم من غير حق الا أن يقولوا كلمة الحق ، ثم لا تقف الآية الكريمة عند هذا الحد ، بل يتبين أن هذا الاذن موافق لما تقضى به سنة التدافع بين الحق والباطل حفظا للتوازن ودرا للمطفين ، وتمكيناً لأرباب الخير والصالح من التمسك بعقائدهم وأداء عباداتهم ، ثم ترشد الى أن الله انما ينصر بمقتضى سنته من ينصره ويتقيه فلا يتخذ الحرب أداة للتخريب والافساد ، ولا يترك عوامل الشهوات والمطامع تخرب وتدمر وانه لا ينصر الا من اذا تمكن في الأرض قام بحق الله وحق العباد وحق المجتمع .

هذه آية واضحة وهي أول آية نزلت في القتال ، ليس فيها شائبة من شوائب الاكراه في العقيدة ، وإنما هي على العكس تقرر أن الحرب أمر لا بد منه حفظا للنظام وتقليما لأظافر البغى والطغيان ، ولولاها لفست الأرض وهدمت فيها أماكن العبادة ، ومن الغريب أن الآية لا تنظر في هذا الشأن الى المسلمين خاصة بل تقول : « لهدمت صوامع وبيع وصلوات » .

« على (١) أن سبحانه حين اذن للمؤمنين في القتال لم يأذن لهم فيه الا دفاعا عن عقيدتهم ، وحماية لها ممن يعتدى عليها ، وفي حدود الدفاع عن العقيدة وحمايتها ، نزلت آيات القتال والحث عليه في القرآن الكريم .

فالذين يقاتلون المؤمنين ، يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

والذين يخرجون المؤمنين من ديارهم ، يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم : « واقتلوهم حيث ثقتهموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم » .

والذين يفتنون المؤمنين عن دينهم ، يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم : « والفتنة أشد من القتل » .  
والذين يحاولون الوقوف في سبيل دعوتهم يجب

---

(١) ص ٢٧٨ من كتاب صور من حياة الرسول

على المؤمنين أن يقاتلوهم : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة  
ويكون الدين لله » •

والذين يستدلون بالمستضعفين من المؤمنين يجب على  
الاقوياء منهم أن يقاتلوا لانقاذهم :

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من  
الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا اخرجنا من  
هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل  
لنا من لدنك نصيرا » •

والذين يخونون عهود المؤمنين يجب على المؤمنين أن  
يقاتلوهم بعد انذارهم : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ  
اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » •

والمبدأ العام في ذلك قول الله تعالى : « فمن اعتدى  
عليكم فاعتكوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فمن اعتدى  
على المسلمين بالقتال فالمسلمون مكلفون أن يقتلوه حيث  
وجدوه ، ومن أخرجهم من ديارهم فليخرجوه منها كما  
أخرجهم ، ومن فتنهم عن دينهم أو صد عن سبيلهم فالفتنة  
أشد من القتل •

فغاية القتال إذن ألا يفتن المسلمون عن دينهم ،  
وأن يخرجوا من ديارهم ، أو يستدلوا في أوطانهم ، وإن يعز  
دين الله ويمتنع على الأذى والفتنة ، وأن يظل سبيله حرا  
لمن أراد • على أن يكون القتال كله في سبيل الله ، وأن

تكون غايته اعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وأن تكون تقوى الله في كل حالة هي شعار المؤمنين : « **واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب** » وأن تنتهي الحرب بانتهاء الغرض منها : « **فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » وأن تكون الرغبة في السلم أول ما يحرصون عليه اذا بدا لهم من عدوهم رغبة في السلم ، حتى ولو كان العدو يريد بها خداعا « **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » .

على أن الجهاد في الاسلام ، ومقاتلة المعتدين والدفاع بالروح عن حمى العقيدة . ان الجهاد بهذه الكيفية وعلى تلك الحالة يعده الاسلام ، مع كل ذلك ، دفاعا يعتمد على قوة الجسد ورباطة الجأش ولذا سماه جهادا أصغر ، أما الدفاع الذي يقوم على محاربة الرغبة الداخلية ومصارعة نوازع النفس ونوازع القلب فذلك هو الجهاد الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من غزوة منتصرا :

« **رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر** » .

قالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس » .

## وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل (١)

كانت هزيمة المشركين في « بدر » ذكرى قاسية مريرة يجترها بالأم كل من فقد أهله أو أصيب في عائلته ، أو نكب في أسرته ، كصفوان و « عكرمة » .

ودفعتهم تلك الذكريات الى اعداد حملة تقتص لهم ، وتثار .

ومن « مكة » انطلقت حملة الثار ، قوامها ثلاثة آلاف مقاتل ، وعديد من الجنود المرتزقة من البدو الذين اشتركوا في الحملة طمعا في الاجر الضخم .

وفي مؤخرة الحملة .. « فرقة نسائية » .. متحمسة على رأسها « هند بنت عتبة » زوج أبي سفيان . لم تكن مهمة نسائها التمريض ، أو بث الحماسة في النفوس .. إنما كانت مهمتهن الاولى سد الطريق في وجه كل جندي يريد الفرار .

ووصلت أنباء تلك الحملة الى مسامع الرسول والمؤمنين ، وتعارضت الآراء ..

وكان المؤمنون الذين فاتهم شرف الجهاد أو الاستشهاد في موقعة « بدر » يتمنون تلك اللحظات ، لينعموا بالشهادة ، أو يسعدوا بالنصر ، فنادوا بسرعة اللقاء .

وفريق من المنافقين انبثوا بين الصفوف يعوقون .

---

(١) آية ١٤٤ من سورة آل عمران



ويهمسون في الآذان بالقعود وعدم الهجوم ، بحجة أن في جيش المسلمين كله جوادين فحسب ، وعدة المشركين وعددهم أكثر وأعظم .

وانتظر الصحابة رأى الرسول .. وأحاطت جموعهم ببيته ، وسرعان ما علموا رأيه حينما خرج عليهم لابسا خوذته متقلدا سيفه ، ممسكا رمحه ، ملقيا بالترس على ظهره ..

واتجه المسلمون صوب جبل «أحد» واعتصموا به . وجعلوه خلف ظهورهم .. وجعل الرسول على قمة الجبل خمسين راميا من أمهر الرماة بقيادة «عبد الله بن جبير» وأمره أمرا مؤكدا بأن «انضحوا الخيل عنا بالنبل ، واحموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف أن يجيئوننا من ورائنا . والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم . وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا . ولا تدفعوا عنا ، وانما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل »

وتقدم المشركون صوب الجبل على هيئة قوس على ميمنته خالد بن الوليد ، وعلى ميسرته، عكرمة بن أبي جهل لمباغطة المسلمين من الخلف .

وسبقت الموقعة مناوشات من الجانبين .. ثم كانت المعركة .. وبدأت معها بشائر النصر للمسلمين ..

وترك الرماة أماكنهم بعد انتهاء الجولة الأولى في  
المعركة ، واندفعوا مخالفين أمر القائد ٠٠ ودفعتهم نشوة  
الظفر والنصر الى أن ألقوا بأنفسهم وراء الغنائم والاسلاب .  
وشاءت الظروف أن يتغير وجه المعركة بعد هذه  
المخالفة ، وأن ينقض المشركون على المسلمين ويباغتوهم ٠٠  
وكثر القتل من المسلمين ٠٠ وتشبتوا ٠٠ وفر البعض الى  
المدينة ٠٠ وجرح الرسول في شفته ٠ وكسرت بعض  
أسنانه ٠ وأصابه حجر في «مغفره» فانغرست حلقة المغفر  
في وجهه ٠٠ وانطلقت شائعة تقول ان محمدا قد مات ٠٠  
وان قاتله هو « ابن قمئة الليثي » ٠٠

كما شاعت ظروف المعركة كذلك أن تفرق بين  
الرسول وبين عمر وابي بكر ، وعلى ٠٠  
وانطلق « أنسى بن النضر » يردد في أنسى ، قتل  
رسول الله ٠٠ قتل رسول الله ٠٠

وظل يدور على الصحابة ويقول : ماذا تصنعون  
بالحياة من بعده ؟! موتوا على ما مات عليه رسول الله ٠٠  
وانطلق الى معسكر الاعداء يقاتل حتى قتل ٠٠

ووصلت الصيحات الى آذان الصحابة المتفرقين ،  
فتجمعوا في جماعات جابهت المشركين ٠٠

ورأى كعب بن مالك جماعة من اخوانه تدافع  
وتنافح في صمود وثبات واصرار ٠٠ ورأى في هذا الجمع  
عينين تزهزان من تحت المغفر ، وتفرس في صاحبهما ،

فعرفه .. فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين .. ابشروا  
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والقت البشرية  
في فلول المسلمين حماسة .. ودفعتهم نحو الجهة التي أشار  
اليها كعب .. واتجهوا صوب رسول الله وقد توقدت  
حميتهم فشقوا لهم طريقا في صفوف أعدائهم .. وعلى  
جثث كثير منهم وصلوا الى الرسول ، والتفوا حوله ،  
واستمر القتال في غف ..

وما كان لأموال الباطل مهما عنفت واشتدت وتلاطمت  
الا ان تنكسر في النهاية على صخرة الحق .. والى فترة  
اليأس التي انتابت المقاتلين المسلمين في هذه المعركة يشير  
قول الله « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل  
افئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

والى الصبر المفضى الى النصر ، والى ثبات المقاتلين مع  
نبيهم يقول الله : « وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير ،  
فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما  
استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا ان  
قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت  
أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » . فأتاهم الله ثواب  
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

## نهاية .. وخلود

فى حجة الوداع ، وهى الحجة الأخيرة التى حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى أرسى فيها الدعائم وعرض القوانين ، وبين الحلال والحرام ، وأوصى الناس بالتزام الجادة ، وأبان ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

فى هذه الحجة نادى فى الناس بصوت جهورى كان يردده من بعده « ربيعة بن أمية بن خلف » قال :  
« أيها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ..  
وانكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم ، وقد بلغت ..  
فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .  
وان كل ربا موضوع ( أى مهدر ) ولكن لکم رعوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ..

قضى الله أنه لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ..

وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وأن أول دمائکم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

أما بعد أيها الناس :

فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا . ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس . إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه . وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت وتركتم قومك ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كساب الله وسنة رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه : تعلمن أن كل

مسلم أخ للمسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم .. اللهم هل بلغت ؟

ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا اللهم قد بلغت : اللهم اشهد ، ونزل على رسول الله وهو واقف بعرفة قوله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (١) اليوم : بعد أن أرسيت دعائم الاسلام في أرض العقيدة المتينة المكيئة .. وبعد أن أقام محمد البناء العقيدى ، ودعا اليه كاشفاً روعته وسلامه نظمه ..

وبعد أن انتشرت دعوة الاسلام في الارض فأضاءت أرجاء وقلوباً .. ودوت صبيحة الحق ..

اليوم أكملت لكم ، لكم أنتم يا أمة محمد ، بمحمد ، وبما نزل على محمد أكملت لكم دينكم فغدا الدين الكامل المتكامل ، والعقيدة التامة العامة .. وعقائد غيركم مشوهة محرفة ، أو ناقصة قاصرة أو خاصة مقصورة .

أما دينكم الاسلام فهو دين عام خالد ، دين الله دين الحق « ان الدين عند الله الاسلام » والاسلام نعمة أنعم الله

(١) من آية ٣ من سورة المائدة

بها على المؤمنين به ومنة امتن بها على معتنقى هذه الشريعة  
التي أتمها بمحمد ، وختمها برسالته • ورضيها ، لكمالها  
وتمامها وصحتها وسلامتها ، رضيها لنا معشر المسلمين دنيا  
لعقيدتنا وديننا لنا •

اليوم كمل الدين ، وتمت كلمة الله ، وانتهت مهمة  
رسول الله •

ولما نزلت تلك الآية السالفة رأى فيها البعض دلائل  
واشارات ، رأوا فيها حياة الدعوة المحمدية وقرب انقضاء  
حياة الداعية محمد عليه السلام ، رأوا فيها بقاء الرسالة  
وذهاب الرسول ، فحزنوا ، بيد أنهم لم يكونوا يطلبون  
لمحمد الخلود ، إنما كانوا يريدون له طول البقاء بين ظهرائهم  
اذ هم مؤمنون بإحكام به الله عليه وعليهم «انك ميت وانهم  
ميتون» •

خاتمة :

وقد اشتدت خشية المسلمين على رسولهم عندما قال  
أبو مويهبة ( مولى رسول الله ) : بعث الى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فى جوف ليلة من ليالى صفر فقال : يا أبا  
مويهبة، انى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق  
معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين مقابر المسلمين قال :  
السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما  
أصبح الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه ؟ أقبلت الفتن  
كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الأخيرة شر من  
الأولى ..

ثم استغفر لهم وقال : يا أبا مويهبة انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة ، قال أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى !! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال محمد : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة .

وشكى النبى المرض منذ تلك الليلة التى زار فيها البقيع . وأصبح فى الغداة فوجد عائشة تشكو صداعا . وتقول عائشة : « لما رجع رسول الله من البقيع ، وجدنى - غداة تلك الليلة - وأنا أجد صداعا فى رأسى وأقول : وارأساه فقال ، وقد بدأ يحس ألم المرض : « بل أنا يا عائشة والله وارأساه ، ثم قال : وما يضرك لو مت قبل فقمتم عليك . وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟ ! » ، وكأنى بعائشة - رضوان الله عليها - لم تحتمل تلك المداعبة النبوية اذ غلبت عليها طبيعتها كأنثى ، وأنثى لها ضرائر ، فقالت : ليكون ذلك حظ غيرى والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك » وتبسم رسول الله على الرغم مما به من ألم .

وكانت نوبات المرض تشتد عليه يوما اثر يوم ، كما كانت تتخللها سويعات من الصحو والنشاط والقوة وكانت عادة الرسول أن يقسم لياليه بين بيوت زوجاته ، وبينما هو فى بيت « ميمونة » عاودته آلام المرض فدعا بزوجاته واستأذنهن فى أن يمرض ببيت عائشة فأذن له ، قالت عائشة : « فخرج رسول الله من بيت ميمونة بين الفضل



وعلى ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه حتى دخل بيتي » . .

وظل أياما عدة لا يزيد على الصلاة ولا يقوى على محادثة أصحابه . . الى أن عاودته نوبة من نوبات النشاط والصحو ، فلبس ثيابه وعصب رأسه . . وخرج من باب عائشة المطل على المسجد ، فصعد المنبر وألقى خطبته المشهورة التي طلب فيها الى كل من آذاه أن ينتقم منه ثم قال : « ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله » فبكى أبو بكر وقال : « بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال رسول الله : على رسلك يا أبا بكر ، لا تبك » .

وأضنته الحمى ، وعادته ابنته فاطمة فقال لها ، مرحبا بابنتي ؛ ثم أجلسها الى جانبه وأسر في أذنها حديثا فبكت ، ثم أسر لها حديثا آخر فضحكت ، فسألتها عائشة في ذلك ، فقالت : ما كنت لأفشي سرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مات الرسول ذكرت أنه أسر له أنه سيقبض في مرضه هذا فبكت ثم أسر لها أنها أول من يلحق به من أهله .

قالت عائشة : « رجع الى رسول الله في ذلك اليوم حين دخل المسجد ، فاضطجع في حجرى ، فدخل رجل من آل أبى بكر وفى يده سواك أخضر ، فنظر رسول الله اليه في يده نظرا عرفت أنه يريد ، فقلت : يا رسول الله . أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ فقال : نعم ، فأخذته حتى

لينته ثم أعطيته اياه ، فاستن به كأشمس مارأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه . ووجدت رسول الله يثقل في حجرى فذهبت أنظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » فقلت : خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق !! وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة .

يقول البيهقى (١) : « لما كفن رسول الله عليه وسلم ووضع على سريريه دخل أبو بكر وعمر فقالا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم انا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل اليه ، ونصح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله به دينه ؛ وتمت كلماته فأومن به وحده لا شريك له . فاجعلنا يا الهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا وتعرفه بنا ؛ فانه كان بالمؤمنين رءوفا رحيمًا » .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » (٢) .



(١) نهاية الارب ج ١٨

(٢) آية ١٢٨ من سورة التوبة





محمود بن الشريف :

● تخرج من جامعة الأزهر وحصل على  
شهادة تخصص التدريس من كلية  
اللغة العربية سنة ١٩٤٧ •

● ظهر له من الكتب الأدبية  
والعقائدية : رواد خالدون - فدايات  
اسلاميات - بدر الفوزة الاولى -  
ادب محمود تيمور لل...

والتاريخ

شوقي

والجنسية

وحديثا

مصرى •

● منحه جا

درجة الماج

لكتبه الا

● يشغل ح

الشباب

● العربى

## المكتبة الثقافية

اول مجموعة من نوعها  
تخصص استراكية الثقافة  
نيسر لكل فارئ أن يقيم  
في بيته مكتبة هامة  
تحمي جميع ألوان المعرفة  
بأفلام أسانذة ومتن مصيّن

العدد القادم

الهكسوس

بقلم

محمد العزب موسى

طبع بمطابع الدار

Bibliotheca Alexandrina



0228911

مكتبة الإسكندرية